رَوائِع تُراث الزَّيديّة

شَواهِد الصّنع والأدلة علَى وحدانية اللّه وربوبيته

للإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العَياني

عليهما السّلام (ت ٤٠٤هـ)

مُنتزع من مَجمُوع كُتبه ورسائِله

تحقيق

إبراهيم يحيى الدّرسي

منشورات مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية

يتلوه كتاب: شواهد الصنع والأدلة على وحدانية الله وربوبيته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله الذي لا يعذب من حمده، ولا يضل عن الهدى من أرشده، ولا يخيب رجاء من قصده، ولا يذل من نصره، ولا يضل سعي من شكره، ولا يَعْمَى عن الحق من بصّره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله شهادة من أيقن بوحدانيته، وتعرض لعفوه ورحمته، وجوده وكرمه ورأفته، وأقر بذل ملكته، وتخضع لعظمة سطوته، وانقطع إليه بكليته، وأخلص قلبه لمحبته، وانقاد لأمره وطاعته، وتاب إليه من خطيئته، وأستعين به على نصيحته، وأرغب إليه في مودته، وإلهام رشده وحكمته.

وبعد: فإن الله جل ذكره تعرف إلى خلقه بإيجاد ما أوجد من بريته، وصنع ودبر بمشيئته، ثم أوصل إليهم العلم بربوبيته، بما أظهر لهم من أعاجيب فطرته، وشواهد صنعه وآياته.

باب الدلالة على الله عز وجل

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -صلوات الله عليه[1]-: إن سأل سائل مسترشد، أو قال قائل ملحد فقال: ما الدليل على الله رب العالمين؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أنا نظرنا الإنسان فإذا هو أقرب الأدلة على نفسه، فلم يخل عندنا من أحد ستة أوجه لا سابع لها:

[١] إما أن يكون خلق نفسه.

[٢] وإما أن يكون قديماً لم يزل .

[٣] وإما أن يكون حدث لعلة من العلل.

[٤] وإما أن يكون هملاً رَسْلاً لا من علة ولا من خالق.

---

[1]- في (ب): قال مولانا الإمام أمير المؤمنين المهدي لدين الله العالم الحسين بن القاسم -صلوات الله عليهما-.

[٥] وإما أن يكون متولداً لم يزل نطفة من إنسان وإنساناً من نطفة إلى ما لا نهاية له ولا أصل، ولا غاية ولا أول.

[٦] وإما أن يكون من خالق محدِث قديم حي قويم.

فإن قلت: إنه قديم لم يزل؛ فهذا محال لأنا وجدناه بعد العدم.

[إبطال كون الإنسان أحدث نفسه أو حدث بالعلة]

وإن قلت: إنه أحدث نفسه؛ فهذا محال لأنا وجدناه في حال كماله وبلوغه وحياته عاجزاً عن تحسين القبيح من صورته، فعلمنا أنه في حال طفوليته وموته وغفلته، ونقصانه وقلته، أعجز وأضعف، لأنه إذا عجز في حال الكمال فهو في حال الضعف أحرى بالعجز.

وإن قلت: إنه حدث من علة من العلل؛ فهذا محال لأن العلة لا تخلو في حال إحداثها له من وجهين: إما أن تكون مواتاً وإما أن تكون جسماً حيواناً؛ فإن كانت حيواناً فيستحيل تدبير الحيوان مثله إذ الحيوان مصنوع، عاجز عن الصنع ممنوع.

وإن كانت العلة مواتاً فيستحيل أن يصنع الموات إنساناً محكماً مدبراً مبقياً مصوراً حكيماً عالماً إذ الموات لا يعي نفسه فضلاً عن فعل الحكمة البالغة، والنعمة السابغة.

وإن قلت: إنه حدث بالتولد نطفة من إنسان، وإنساناً من نطفة إلى ما لا نهاية له ولا أصل ولا بدء ولم يزل شيء من شيء؛ فهذا محال لأنك قد أقررت بما شاهدت من حدثه ثم نقضت يقينك بالظن الكاذب فقلت: لا أصل للمحدث ولا بداء ، وهذا المحدث لم يزل شيئاً، فقولك محدث يقين، وقولك قديم ظن.

ودليل آخر: أنا نجد في هذا المحدَث آثار الحكمة بعد عدمها، ويستحيل أن تكون الحمكة الحادثة قديمة الأزلية.

ودليل آخر: أنا نظرنا الخلق فإذا هو قد أكمل وأحكم، وأنعم عليه وأكرم، فعلمنا أن الإحكام والإكمال لا يكون إلا من مكمل محكم، وأن الكرامة والنعمة لا تكونان إلا من مكرم منعم.

ودليل آخر: أنا وجدنا الإنسان فرعاً ولا بد لكل فرع من أصل، ويستحيل فرع من غير أصل.

ودليل آخر: أنا وجدنا الإنسان ينسب إلى ذكور وإناث، فإذا أصله على قسمين، وللقسمين نهاية وغاية.

ودليل آخر: يدل على الأصل والفرع من الحدود، أن الموت وقع عليهم فلم يخل من أحد ثلاثة أوجه: إما أن يكون وقع على جميع آبائه الأول منهم والآخر، وإما أن يكون وقع على بعضهم، وإما أن يكون لم يقع على أول منهم ولا آخر.

فإن قلت: لم يقع على أحد؛ فأَوْجِدْنا جميع جدودك له الأحياء الأولين.

وإن قلت: بل وقع على بعضهم؛ فأَوْجِدْنا الأوائل الثاوين أهل العدم منهم.

وإن قلت: بل وقع على أولهم قبل وقوعه على آخرهم؛ فهذا يدل على أن الإنسان قد وقع عليه الموت.

ودليل آخر: لما وجدنا الإنسان فرعاً حياً، والجدود أصولاً أمواتاً، لم يخل الموت من أن يكون وقع على الأصل كله أو لم يقع، فلا نجد بداً من أن نقول: بل وقع على كل ذكر وأنثى من الجدود والجدات، وفي إقراره ما كفانا إن أنصف عقله.

ودليل آخر: إن قال: ما أنكرتم من أن يكون لم يمت من هذه الأصول إلا وقبلها أموات إلى ما لا نهاية له.

قيل له ولا قوة إلا بالله: أوليس قد تقدم فيما مضى من كلامنا أن قولك هذا محال، لأنه ظن، وحدوث الحكمة والنعمة والرحمة تدل على المحدث المحكم المنعم الرحيم بأيقن اليقين، وقبول العقول أولى من قبول الظن.

ودليل آخر: أنا قد بينا لك أيضاً أن قولك متناقض فاسد، لأنك أقررت بالحدث ثم نقضت ذلك بقولك قديم، والمحدث لا يكون قديماً، كما لا يكون القديم محدثاً.

ودليل آخر: لا يخلو قولك لا نهاية للأموات من أحد ثلاثة أوجه: إما أن تكون عنيت جميع الأموات، وإما أن تكون عنيت بعضهم، وإما أن تكون ظننت ذلك ظناً وتوهماً.

فإن كنت ظننت ذلك ظناً فاليقين أولى بالاتباع من الظن، والحق أولى بالتصديق من الباطل، والتعلق بالخبر أولى من المقام في الحير.

وإن كنت أردت[1] بقولك لا نهاية تريد بعضهم؛ فهذا محال إذ لا فرق بين أولهم وآخرهم في وقوع الموت عليهم، وانقطاع آجال جميعهم ، وتصرم الكل منهم.

وإن كنت عنيت بقولك لا نهاية جميع الأموات؛ فهذا محال لأن الموت وقع على الكل، وللكل نهاية وغاية، ألا ترى أن الموت قد حوى الجميع و لم يغادر منهم أحداً ، و لم يقع الموت على الفرع حتى تضمن أصله، لأنه لم يفن الفرع حتى أفنى الأصل قبله، و لم يفن بعض الأصل بل أفنى كله.

وإن قلت: إنه حدث من غير محدث ولا من علة هملاً رسلاً فهذا من أحول المحال، وأبطل الباطل، وأفسد المقال؛ لأنه إذا حدث من غير علة ولا محدث لم يخل من أن يكون حدث من العدم أو من نفسه.

[إبطال كون العدم أحدث الإنسان]

فإن قلت: إنه حدث من العدم فهذا محال بين الفساد، لأن العدم لا يوصف بالإيجاد، لأن العدم لا شيء، والفاعل لا يكون إلا موجوداً مدبراً، حكيماً مقدراً، لأن قولك لا يحدث شيئاً نفي للمحدث والمحدِث، لأن لا شيء عدم، والشيء وجود، والعدم ليس بعامد ولا معمود، ولا شيء سوى اللفظ مقصود، وإنما قولنا عدم نريد النفي لهذا الاسم، وإذا كان هذا المحدَث عدماً قبل حدوثه فالعدم لا شيء، ولا شيء لا يكون شيئاً بغير شيء، لأنك إذا قلت: معدوم بعدم بمعدوم نفيت الجميع إذ كله باطل محال، وعبث من صاحب المقال، وإلا فما الذي جعل وجود المعدوم أولى من عدمه ، وما جعل حدوثه أولى من تركه؟

فإن قلت: إن ذلك من أجل أنه متروك، فالمتروك متروك.

---

[1]- في (ب): عنيت.

وإن قلت: من غير الترك، فذلك الفاعل الحكيم، الجاعل المتفضل بالتكوين، الخالق بغير معين، الرحمن الرحيم، العليم الحكيم، الواحد الأحد، المتفرد الصمد، الذي لا إله سواه، ولا أمد حواه، ولا عين تراه، ولا له مثل ولا نظير، ولا وزير ولا نصير، ولا شريك ولا مشير، إلهنا وسيدنا، وحبيبنا ومعتمدنا، وربنا وخالقنا، ومنشئنا ورازقنا، من لا تحصى آياته، ولا تنقطع دلالاته، ولا تعد نعمه، ولا يتناقض علمه، ولا يستجهل حلمه، ولا يدركه نظر، ولا يحويه قطر، ولا يكتنهه ضمير، ولا يحده مصير، ولا يعجزه تدبير.

[إبطال كون العلة أحدثت الإنسان]

ودليل آخر: لو حدث لعلة لم تخل تلك العلة من أحد وجهين: إما أن تكون جسماً، وإما أن تكون عرضاً.

فإن كانت جسماً : فالجسم محدث ضعيف عاجز.

وإن كانت العلة عرضاً : فالعرض أعجز من الجسم ؛ لأنه لا يوجد إلا بوجود الجسم، ولا يقوم إلا بقوام الجرم، وما لم ينفك من الجسم و لم يكن قبله فهو بغير شك في الحدوث مثله، وذلك أن الجسم لا يخلو من أحد وجهين: إما أن يكون ساكناً، وإما أن يكون متحركاً، وأي المعنيين كان فيه فهو يدل على حدثه؛ لأنه إن كان ساكناً فسكونه على ضربين سكون ماض وسكون مستقبل؛ فالسكون الماضي يدل على مبتدأه، والسكون المستقبل فقد ناهاه، لأن ما مضى من السكون له آخر، وما كان له آخر فله أول، ويستحيل آخر بلا أول، لأن آخر السكون هو أقل قليل الأوقات، وما مضى منه فهو أوله الكثير.

وذلك السكون الماضي الذي هو بزعمهم قديم لا يخلو من أن يكون عدم كله أو لم يعدم؛ فإن قالوا: إنه غير معدوم؛ فهذا محال لأنه قد سكن من الدهور والأزمان ما لا يحصى من ألوف السنين، والألوف فقد عدمت، و لم يعدم آخرها إلا بعد عدم أولها، وإذا صح عدم الجميع فقد صح تناهي السكون الماضي، لأن العدم قد وقع على أوله وآخره، وإذا صح أن له أولاً فقد بطل قدمه وثبت حدثه، وإذا بطل قدمه وثبت حدثه فقد صح

حدث الجسم إذ لم يسبقه و لم يتقدمه.

ودليل آخر: قالوا لما نظرنا إلى الجبل ساكناً غير زائل علمنا أنه لم يسكن وقتاً إلا وقبل الوقت وقت إلى ما لا نهاية له؛ وهذا محال بين الإحالة عند من عَقَل لأن سكون الجبل على قسمين: قسم قليل وقسم كثير؛ فالقسم القليل موجود وهو المستقبل لأنك إذا نظرت سكونه انتظرت أن يسكن بالمشاهدة أقل مما سكن قبل ذلك فيما مضى من الدهور ؛ لأنه قد سكن فيما مضى ألوف سنين لا تحصى ، فأنت قد شاهدته لأنه موجود، و لم تشاهد الألوف لأنها عدمت كلها ، وذهب أولها وآخرها، وللكل نهاية وغاية.

وإذا صح تناهي السكون وانقطاعه ، وعدم آخر السنين بعد عدم ما قبلها فهو على ضربين معدومين، سكون قبل سكون، وسكون بعد سكون، وكل ذلك قد مضى، وتضمنه العدم والفناء، وما صحت نهايته وعدم أوله وآخره فله أول معدوم، وما كان له أول فهو محدث، وإذا صح سكون الجبل فالجبل محدث إذ لم يسبق سكونه بزعمهم.

ودليل آخر: إذا صح أن لسكون الجبل أولاً قد عدم لم يخل ذلك السكون الأول من أن يكون قليلاً أو كثيراً، فإن كان قليلاً فأقل السكون بعض ساعة، وإن كان كثيراً فالكثير من السكون لا يكثر إلا بعد قلته، ولا يزيد إلا بعد نقصانه، ولا يوجد إلا بعد عدمه ولا يوجد آخره إلا بعد عدم أوله، وأوله أقل القليل.

ودليل آخر: إذا كان الكثير من سكون الجبل لا يوجد إلا بعد عدم فالقليل أحرى بأن لا يوجد إلا بعد العدم، وإذا عدم جميع ما مضى منه فالعدم قد وقع على الكل، والفناء قد تضمنه، وحوى أوله قبل أن يحوي آخره، وإذا حوى الآخر الكثير، لم يكن ذلك إلا بعد أن مضى على الأول اليسير.

ودليل آخر: إذا قلت: لا أول لسكون الجبل سألناك هل له آخر؟

فإن قلت: ليس له آخر؛ جحدت الجميع. وإن قلت: بل له آخر بلا أول سألناك: هل قبل الآخر سكون أم لا؟ فإن قلت: ليس قبله سكون أوجبت حدثه، وإن قلت: قبله

سكون سألناك: أهو موجود أو معدوم؟ فإن قلت: موجود أحلت؛ لأنك لا تجد سكونه ألوف سنين في ساعة واحدة، وإن قلت: بل هو معدوم أوجبت عدم الجميع.

ودليل آخر: إذا قلت: لا نهاية للمعدوم سألناك: هل عدم كله أو بعضه؟ فإن قلت: لا كله ولا بعضه؛ جحدته ونفيته.

وإن قلت: عدم بعضه، سألناك: أين الباقي مما مضى من ألوفه؟

ودليل آخر: إذا قلت: لم يعدم من سكون الجبل شيء إلا وقد عدم قبله شيء إلى ما لا نهاية له سألناك: أتريد بقولك لا نهاية له الكل من المعدومات أم البعض؟ أم لم تـــرد كلاً ولا بعضاً؟

فإن قلت: لم أرد كلاً ولا بعضاً جحدته، وأبطلت ما بالقدم وصفته.

وإن قلت: عنيت وأردت بعضه، فالبعض قسم محدود متناهي.

وإن قلت: بل عنيتُ وأردتُ وذكرتُ بالقدم وقصدت الكل من المعدوم، فقد ناقضت قولك عند أهل العقول ؛ لأن الكل المعدوم قد تضمنه العدم، فلم يغادر منه طرفة عـــين ولا وهم.

ودليل آخر: إذا قلت إن العدم قد وقع على الماضي من سكون الجبل كله لم يخل هذا السكون المعدوم من أن يكون وجد جملة واحدة معاً في ساعة واحدة، أو وجد كثيره بعد قليله، وآخره بعد أوله أو وجد قليله بعد كثيره، أو لم يوجد أي ذلك؟

فإن قلت: لم يوجد شيء مما ذكرت، جحدت ما لا ينجحد، وما لا ينكره ممن عقل أحد.

وإن قلت: بل وجد قليله بعد كثيره، وكثيره بعد قليله، أصبت وجعلته عدداً معدوداً، متناهياً محدوداً، والعدد القليل والكثير لا يوجد الآخر منه إلا بعد الأول، ولا الاثنـــين إلا بعد الواحد، وذلك يدل على سبق قليله لكثيره، إذ لا توجد ساعة إلا بعد نقصانها، ولا تكثر إلا بعد قلتها.

وإن قلت: بل وجد جميع ما مضى في ساعة واحدة أقـــررت بحدثـــه وأحلـــت، لأن

الماضي من الأزمان ساعات لا تحصى ويستحيل أن تكون الأزمان الكثيرة ساعة يسيرة بل إذا صح أن العدم وقع على الكل منها صح منتهاه، إذ حده العدم وحواه، وتضمنه وغاياه، وأبطل الجميع وناهاه، وإذا ثبت في المعقول أن سكون هذا الجسم لا يكون إلا شيئاً بعد شيء، ولا سكن كثيراً إلا بعد سكونه يسيراً، صح ما قلنا به من مبتدأ السكون وصح بصحته مبتدأ حدوث الجسم إذ لم ينفك من هذا الحادث و لم يسبقه.

فإن قال: وما أنكرت من أن يكون تحرك قبل ذلك السكون بحركة لا نهاية لها؟

قيل ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنه إذا تحرك قبل السكون فسبيل الحركة سبيل السكون في الحدث.

ودليل آخر: إذا كان للحركة آخر ومنقطع، فلها أول ومبتدع، وذلك أن آخر الحركة التي قطعها السكون أقل القليل، وقد كان بزعمك أكثر الكثير، فخبرني عن هذا الكثير أعدم كله أم بعضه، أم لم يعدم منه كل ولا بعض؟

فإن قلت: لم يعدم، أحلت.

وإن قلت: عدم بعضه أحلت؛ لأن الحركة لا يوجد منها شيء بعد السكون، وإن قلت: بل عدم الكثير كله؛ ففي قولك عدم الكل ما كفى وللكل أبعاض لم يوجد آخر منها إلا بعد وجود أول ولا وجد كثير منها إلا بعد وجود قليل.

ودليل آخر: إذا قلت: إن قبل كل حركة سكوناً، وقبل كل سكون حركة إلى ما لا نهاية له، سألناك: هل تعني بقولك لا نهاية له كل ما مضى وعدم منهما؟ أم تريد بعض ذلك؟ أم لا تريد أيهما؟ فلا تجد مخرجاً مما ذكرنا.

قال[1] **المهدي لدين الله** الحسين بن القاسم -صلوات الله عليه-: إذا لم يكن الجسم كائناً ما كان من الأشياء لم ينفك من هذين الحالين، فهو محدث بأبين البيان، وإذا كانت

---

[1]- في (ب): قال الإمام المهدي لدين الله الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم بن علي -صلوات الله عليه-.

الأعراض لا توجد إلا في الأجسام وكان محالاً أن تكون قبلها، فسبيلها في الحدث سبيلها، لأنا نفينا أن تكون علة كون الإنسان وغيره من الحيوان جسماً أو عرضاً، لأنهما محدثان [قال الحسين بن القاسم][1] فلما بطل أن تكون علة كون الإنسان وغيره من الحيوان جسماً أو عرضاً أو عدماً صح أن له صانعاً قديماً، وهو الله رب العالمين.

باب الدلالة على صنع الله في الحيوانات

[الحكمة في خلق الإنسان والإنعام عليه]

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -صلوات الله عليه-: إن سأل سائل فقال: أخبروني ما الدليل على الله عز وجل؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إعلم أيها السائل أن أقرب الأدلة إلى الإنسان نفسه، وذلك أنا نجد الإنسان بعد عدمه، فنعلم أن له موجِداً أوجده بعد عدمه، لم يجد في نفسه حكمة، ونجد عليه نعمة ، ولا تكون الحكمة إلا من حكيم ، ولا النعمة إلا من منعم كريم.

فإن قال: وما الحكمة التي في الإنسان؟ وما النعمة التي عليه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أما الحكمة التي فيه فالصنع الذي لا يكون إلا من صانع حكيم، وأما النعمة فالرزق المبسوط الذي لا يصح إلا من رازق كريم، وذلك أنا نظرنا الإنسان فإذا هو نطفة من ماء مهين ميت قليل حقير، غير سميع ولا بصير، ثم وجدناه بعد ذلك إنساناً حياً حكيماً مدبراً سميعاً بصيراً موصلاً مفصلاً، قد جعل كل معنى منه لمعنى، ولا يجعل المعنى للمعنى ، إلا عالم بما صنع وبنى.

فأول ما نظرنا منه تكثيره بعد قلته، وقوته بعد ضعفه، وحياته بعد موته، وعلمه بعد جهله، فعلمنا بيقين أن هذه نعم محكمة لا تكون إلا من حكيم عليم، وتدابير لا تكون إلا من مدبر قديم، ورحمة لا تكون إلا من رحيم.

والدليل على ما ذكرنا من العلم والحكمة والرحمة، أن الرحمة هي الفضل والنعمة، وأن

---

[1] - زيادة في (ب).

الكرم هو البسط للمنافع عند الحاجة والفاقة، وأن ذلك لا يكون إلا من عالم حكيم، لأنه لم يعط عبيده ما أعطاهم إلا لعلمه بفاقتهم، و لم يتكرم عليهم بإيجادهم إلا لإتمام الحكمة في خلقهم، و لم ينعم عليهم إلا تفضلاً برزقهم.

وذلك أنا نظرنا إلى ما جعل فيهم من الحياة بعد موتهم فعلمنا أن الحياة من أكثر النعم، وأعظم الفضل وأكمل الكرم، ثم نظرنا إلى ما جعل فيهم من المفاصل المفصلة التي لا يصلح التدبير ولا يتم إلا بها ، فجعل المفاصل للحركة والمسير والقيام والقعود والإقبال والإدبار، و لم يكن ذلك ليتم إلا بما جعل من الأبصار، المضيئة المنيرة في الليل والنهار، الهادية في البر والبحار، ولولا تلك النواظر لما تم التدبير ، ولكان العمى من أعظم المهالك والتدمير.

ثم جعل الألسن الناطقة وجعل الأسماع الواعية، وجعل العقول المميِّزة التي لولا هي لهلك المخلوق فجعلها لاجتلاب المنافع ونفي المضار، ومعرفة الخيرات والشرور، واستخراج عجائب الأمور، ثم ركب الأجساد على النعم واللذات والمعايش المقرونة بالحياة ، من الأرزاق المبسوطة المنزلة المجعولة ، التي لا قوام لهم إلا بها ، ولا غنى لهم أبداً عنها.

وعلم أن تلك الأغذية لا تتم إلا بالوصول إلى أجسادهم ، ومباشرة بطونهم وأكبادهم، فجعل لها مداخل اضطرهم إليها وبناهم عليها.

وعلم أنه إن لم يجعل لذلك الغذاء مخارج قبل كونه في بطونهم وإلا هلكوا ودمروا ، و لم ينموا و لم يكثروا ، فقدم ذلك وجعله ، وركَّبه وفعله ، لعلمه بفاقتهم إليه، فركبهم وبناهم عليه ، رحمة منه لهم وتفضلاً عليهم.

وعلم عز وجل أنهم لا ينمون ولا يكثرون ، إلا بما جعل في الإناث والذكور ، وما في تناسلهم من التدبير، وعجيب الصنع والتقدير، فجعل منهم إناثاً وذكوراً ، ليكون للنسل أصولاً ، وصنعاً عجيباً جليلاً، فجعل ذكور الأشياء قبل إناثها ، لما أراد من جعل الحيوانات وإحداثها ، ثم جعل في الذكور والإناث من الشهوة ما يكون سبباً للإحداث،

وجعل لذلك أماكناً غير مشتبهة يصلح بعضها لبعض بتقدير الحكيم ، المدبر الحي العليم، وجعل في تلك الأماكن مسالك لنطف الذكور ، إلى أماكن الحكمة والتصوير ، فالفصل من الأصلاب إلى الأرحام، بتدبير ذي الجلال والإكرام، نطف أقرها الله بقدرته وأثبتها بمشيئته إلى أجل معلوم، ووقت من الأوقات مفهوم، به أخرج تلك النطف بعد نطوفيتها وموتها أطفالاً صغاراً ، قد شق لهم أسماعاً وأبصاراً، وأخرجهم سبحانه من بطون أمهاتهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا يقدرون للآفات والمضار دفعاً ولا منعاً، ولا يعقلون بصراً ولا سمعاً، ولا يهتدون سبيلاً، ولا يملكون عقولاً.

وعلم عز وجل أنهم لا يقومون ولا يحيون ولا ينمون إلا بما ركبهم عليه من الأغذية واللذات، وقوام الأجساد المجسمات، وأنهم يضعفون بصغرهم عن المآكل التي لا تصلح للأطفال، فجعل لهم قبل كونهم أغذية في أجساد أمهاتهم لعلمه بضعفهم وفاقتهم، وجعل في قلوبهن رحمة لهم فأحياهم بذلك وقواهم، وكفلهم به وأغناهم، وأنبتهم به وأنماهم، وأنعم بذلك وغذاهم، وشد أسرهم وقواهم، وأعطاهم العقول فهداهم، ثم أمرهم ونهاهم، بعد أن بصّرهم هداهم.

فأي عجب أعجب مما ذكرنا، وأي حكمة أكمل مما به قلنا، وأي نعمة أسبغ، أو أي حجة أبلغ، مما ذكرنا من صنع ربنا، وخالقنا وإلهنا ورازقنا.

فبينما نحن نطفٌ حقيرة أموات ، إذ نحن على غاية الكمال ، من توصيل الأجساد والأوصال ، والحياة بعد موتنا ، والتكثير بعد قلتنا، والعقول بعد غفلتنا، والحمد لله على ما امتن به علينا، وأسداه من النعم إلينا، ولا إله إلا هو جل جلاله، وظهرت نعمه وأفضاله، وسبحانه عن شبه المخلوقين، وتبارك عما يقول به العادلون، وينسب إليه الجاهلون.

فلما نظرنا إلى هذه الحكمة البالغة، والنعمة السابغة، علمنا أن الحكمة صفة حكيم لما فيه من بيان علم العليم، والصفة لا تكون إلا لموصوف فمن هاهنا صح ما به قلنا.

[شهادة العقل على إثبات الحكمة في خلق الحيوانات]

ودليل آخر: إما أن يكون العقل شاهداً على أن في هذه الحيوانات حكمة، وإما أن يكون شاهداً على أنه ليس فيها حكمة؟

فإن قلت: إن العقل يشهد على أن ليس فيها حكمة؛ فهذا من أكبر المحال، وأقبح ما نطق به من المقال، لأن كل حكمة موجودة ليس الأصل فيها إلا من الحيوان وهو في نفسه وخلقه وعقله وتركيبه أحكم من فعله وقوله.

وإن رجعت إلى الحق فقلت: بل هوفي الحيوانات ما لا ينكره عاقل، ولا يكابر فيه عالم ولا جاهل، لم يخلو العقل من أن يكون شاهداً على أن هذه الحكمة من صفة حكيم، أو شاهداً على أنها من صفة جاهل موات غير عالم، أو شاهداً على أنها من صفة معدوم؛ فهذا محال ؛ لأنك جعلت للعدم صفة وهي الحكمة ، فجعلت العدم حكيماً فأثبت موجوداً، والعدم لا شيء ، ولا شيء لا يوصف بالحكمة ولا الجهل ، ولا يوصف بالتدبير ولا العقل.

وأيضاً فقد أوجبت الحق بإثباتك الصفة إذ لا تكون الصفة إلا لموصوف، ثم نقضت قولك بإثباتك للمعدوم والعدم ليس بمجهول ولا معروف.

وإن قلت: إن الحكمة من صفة موات جاهل؛ فهذا ما لا يقول به من الحق عاقل، ولا يراه من الناس إلا غافل، لأن من صفة الموات الجهل، وبطلان الحكمة والعقل، وما كان من الأشياء جاهلاً وكان عن التدبير حائراً غافلاً، لم يكن حكيماً ولا عاقلاً، وما كان بالموت والغفلة موصوفاً، وكان بالعجز والجهل معروفاً، فيستحيل أن تكون منه حكمة بالغة، ونعمة جليلة سابغة، لأن الحكمة هي الإحكام، والكرم والتفضل والإنعام، وإذا بطل أن يكون ذلك من العدم المعدوم، وبطل أن يكون من موات غير عليم، صح الوجه الثالث وهو الله العليم الحكيم.

ودليل آخر: إما أن تكون هذه الحكمة تولدت من طبائع قديمة حية مدبرة، وإما أن تكون تولدت من طبائع محدثة مصنوعة مدبرة، وإما أن تكون تولدت من العدم.

فإن قلت: إنها تولدت من العدم أوجبت أنها معدومة ونفيت وجودها، لأن العدم لا

يوجب وجوداً إذ هو غير موجود، ولا شيء سوى النفي مقصود.

وإن قلت: إن هذه الحكمة تولدت من طبائع محدثة، فالمحدث لأولها هو المحدث لآخرها، وفي هذا إثبات الخالق لها.

وإن قلت: إن هذه الحكمة تولدت من طبائع قديمة ميتة، فهذا محال ، لأنها لا تخلو من أن تكون أوجدتها بعد العدم ، أو هي كانت موجودة معها في حال القدم.

فإن قلت: إنها كانت قديمة معها ثم انفصلت عنها؛ فهذا محال، لأنا قد بينا حدثها، وأوضحنا الدليل على حدوث فرعها وأصلها، فيما تقدم من قولنا، وأيضاً فإن في الحكمة آثار صنع العالم الحكيم.

وإن قلت: إن هذه الطبائع الميتة أوجدت الحكمة بعد العدم ، فهذا محال، لأنها لا تخلو من أحد وجهين: إما أن تكون أوجدتها بعلم، وإما أن تكون أوجدتها بجهل.

فإن قلت: إنها أوجدتها بعلم؛ فهذا محال ؛ لأن الميت لا يعلم شيئاً ، ولا يكون العالم إلا حياً.

وإن قلت: إنها أوجدت الحكمة بجهل ، فهذا محال ، لأن الجاهل الميت لا يعقل ولا يعي، ولا يحسن ولا يسيء، ولا يحكم التدبير، ولا يبرم الأمور.

وإن قلت: إن هذه الحكمة حدثت من علل قديمة حية حكيمة مدبرة ، فهذا هو صفة الخالق، والخالق ليس يسمى عللاً ، وإنما هو الله الذي لا إله إلا هو العليم الحكيم.

ودليل آخر: أن العلل الميتة محدثة لأن الموات ساكن، والساكن مقيم لابث، واللابث لا يخلو من أن يكون لبث وأقام وقتاً طويلاً، أو أقام وقتاً قليلاً.

فإن قلت: إنه لبث وأقام وقتاً قليلاً أوجبت حدثه من قليل من الأزمان.

وإن قلت: إنه مقيم لابث منذ وقت طويل قديم؛ فهذا محال أن يكون الوقت قديماً، لأن الأوقات هي للأزمان، والأزمان قد فنيت، ووقع الفناء على كل ما مضى منها فعدمت، و لم تعدم الأوقات والأزمان كلها إلا بعد حدوثها، و لم يعدم آخرها إلا بعد عدم أولها، وإذا كان للمقام والأوقات أول وآخر، فقد صح حدث الجسم المقيم، إذ لم

ينفك من المقام والأوقات، وما لم ينفك من سكون الساعات، و لم يكن قبلها، فسبيله في الحدث سبيلها.

[إبطال كون الأجسام قبل الزمان]

وإن قلت: إن الأجسام كانت قبل الزمان سألناك: أكانت متحركة أو ساكنة؟

فإن قلت: لا متحركة ولا ساكنة؛ جحدتها ونفيتها.

وإن قلت: إنها كانت قبل الزمان غير منفكة من حركة أو سكون لم تخل من أن تكون تحركت أو سكنت قليلاً أو كثيراً.

فإن قلت: إنها تحركت أو سكنت كثيراً فالكثير أوقات ودهور وأزمان وساعات، وفي ذلك إثبات ما قلنا به من أن الأجسام لم تنفك مما ذكرنا من الأزمان.

وإن قلت: إنها تحركت أو سكنت أوقاتاً قليلة، أوجبت أيضاً أنها لم تنفك من قليل الأوقات، فكأنها لم تنفك من المحدثات، و لم تكن قبلها موجودات، وإذا لم تكن قبلها و لم تتقدمها فهي محدثة معها.

[إبطال إحداث الشيء لنفسه]

وإذا صح حدث الأجسام كلها، وصح حدث حركاتها وسكونها، لم تخل من أحد أربعة أوجه: إما أن تكون أحدثت أنفسها، وإما أن تكون حدثت هملاً، وإما أن تكون حدثت من محدث قديم.

فإن قلت: إنها أحدثت أنفسها؛ فهذا محال لأنها كانت معدومة، فكيف تحدث أنفسها وهي غير موجودة، والفاعل لا يكون إلا موجوداً غير معدوم.

[إبطال إحداث العلة للأشياء]

وإن قلت: إنها حدثت لعلة لم تخل العلة من أحد وجهين: إما أن تكون جسماً، وإما أن تكون عرضاً، وقد بينا حدوث الجسم والعرض، ولو كانت المحدثات من محدثات، لكان في ذلك دليل على رب السماوات، إذ كل المحدثات لم تنفك قط من السكون والحركات، وإذا لم ينفك الكل من الحدث صح بذلك الخالق المحدِث.

ودليل آخر: لو كان كل محدث من محدَث لكان لذلك آخراً، وما كان له آخر فله أول، وما كان له آخر وأول فقد صح حدث الجميع.

ودليل آخر: إذا كان للمحدثات آخر لم يخل ما مضى من المحدثات من أن يكون الآن كله موجوداً، أو بعضه، أو كله معدوماً.

فإن قلت: عدم كله، أوجبت أنه عدم بعد حدثه، وصح عدمه كله بعد حدوثه كله.

وإن قلت: بل عدم بعضه، جعلته على قسمين: قسم قد عدم ، أفناه العدم بعد حدوثه، وأفقده بعد وجوده، وقسم حدث ثم هو الآن موجود كله.

وإن قلت: إنه الآن موجود كله فقد ناهاه الوجود، وللكل نهاية وغاية.

ودليل آخر: إذا لم يكن شيء من الأشياء المحدثة كلها تنفك من الحركة والسكون فقد مضى للحركات والسكون أزمنة تضمنها الفناء وفي ذلك من الكلام ما قد مضى، وفيه كفاية لمن اكتفى.

وإن قلت: إن الجمادات حدثت في البدء هملاً لا من علة ولا من محدث أوجبت عدمها، لأنها إذا كانت عدماً لم تخل من أن تكون وجدت من قبل العدم أو وجدت لسبب؟

فإن قلت: إنها وجدت للعدم، فهذا محال، لأن العدم لا شيء، فلا شيء لا يكون سبباً للأشياء ؛ لأن السبب لا يكون معدوماً ، لأن العدم نفى الأسباب.

[إبطال إحداث السبب للأشياء]

وإن قلت: إنها حدثت لسبب ، لم يخل ذلك السبب من أحد وجهين : إما أن يكون قديماً، وإما أن يكون محدثاً.

فإن قلت: إنه محدث فالمحدث مخلوق ، وليس كلامنا إلا في المخلوق ، لِمَ خُلِقَ؟ وما

سببه ؟ وما علته؟ وإن قلت: إن السبب الذي أوجد الخلق[1] قديماً أصبت ورشدت وعرفت الخالق.

[بيان الحكمة وممن تكون؟]

ودليل آخر: لا تعدو هذه الحكمة التي قدمنا ذكرها من أحد وجهين لا ثالث لهما: إما أن تكون حكمة قديمة، وإما أن تكون حكمة محدثة.

فإن قلت: إنها قديمة فهذا محال، لأنا قد بينا حدثها.

وإن قلت: إنها محدثة لم تخل من أن تكون حدثت بإحداث الحكيم أو بالإهمال.

فإن قلت: حدثت بالإهمال، فهذا من أكبر المحال، لأن الهمل هو العدم، والعدم لا يوجب كون الحكمة ولا غيرها.

وإن قلت: بل حدثت بإحداث الحكيم صدقت، وكان ذلك كما ذكرت.

ودليل آخر: إما أن تكون عنيت بقولك الحكمة قديمة تريد قدم سببها الموجب لها، وإما أن تكون أردتها هي بالقدم في نفسها، فهذا باطل لما قدمنا من الدليل على حدثها، وإن كنت تريد سببها الذي أوجدها؛ فلعمري إن سببها قديم وهو خالقها وربها.

ودليل آخر: لم يختلف أحد في حدث ظهور تمام هذه الحكمة، وإنما اختلف في سببها وأصلها وكيفية ظهورها وبيانها، فأجمع الكل أن سببها شيء قديم؛ ثم اختلفوا فقال بعضهم: طبع موات، وقال بعضهم: رب حي.

ففسد قول الملحدين الكفار الملاعين لأن الموات لا يكون سبباً للحيوانات.

وفسد قولهم أيضاً لأن الموات ليس بحكيم ، والحكمة صفة للعليم.

وفسد قولهم أيضاً لأن الموات محدث كسائر المحدثات.

وفسد قولهم أيضاً لأن الجود صفة جواد ، والموات لا يعي ولا يعقل ، فكيف إلى أن

[1]ــ في (ب): المخلوق.

يجود ويتكرم ، والكرم والجود لا يكونان إلا من كريم متفضل رحيم.

ودليل آخر: إنما سميت الحكمة حكمة؛ لأنها محكمة، والحكيم فهو المتقن المبرم، والإتقان والإبرام فلا يكونان إلا بعلم وإحكام، والعلم والإحكام لا يكونان إلا من الحكيم العلام، والنعمة لا تكون إلا من المنعم لعلمه بفاقة المحكم إلى الإحكام، ولا يبرم المبرمات إلا عالم بحاجتها إلى الإبرام، وذلك كله فلا يكون إلا من ذي الجلال والإكرام.

ودليل آخر: لا بد أن تضاف هذه الحكمة إلى حكيم، أو تضاف إلى غير حكيم، فأيهما شهد بجوازه العقل جاز فالعقل يشهد بالجواز أن يضاف إلى الحكيم ولا يجوز في العقل أن تضاف الحكمة إلى غير حكيم.

ودليل آخر: لا بد أن تضاف هذه الحكمة إلى موات محدث، أو إلى قديم حي محدث؛ فالعقل يشهد بإضافتها إلى القديم المحدِث الحي، ولا يشهد بإضافتها إلى الميت المحدث أصلاً.

ودليل آخر: إما أن تكون هذه الحكمة أحكمت وبسطت النعمة وأنعمت بعلم الحي أو بجهل الميت؛ فإن قلت بالجهل فالجهل لا يوجب خيراً، وإن قلت بالعلم فالعلم صفة عالم.

ودليل آخر: إما أن تكون هذه الحكمة تمت بفعل قادر حي، وإما أن تكون تمت بفعل ميت عاجز؛ فإن قلت: بفعل الميت العاجز فالموت والعجز لا يتمان خيراً، وإن قلت: بل بفعل قادر حي؛ صدقت، لأن الفعل لا يتم إلا من الحي القادر.

ودليل آخر: إما أن يكون التوصيل والتفصيل من فعل موصل مفصل، وإما أن يكون من فعل ميت عاقل، فالميت العاقل لا يوجب توصل أوصال، ولا تفصيل مفاصل.

ودليل آخر: إما أن يكون جعل الشيء لمصلحة الشيء من فعل مصلح فاعل، وإما أن يكون من فعل ميت عاقل، فالعقل يشهد أن الإصلاح من المصلح الجاعل.

ودليل آخر: إما أن يكون الرزق للمرزوقين من الميت الغافل، وإما أن يكون من العالم الحي الرازق، فالعقل يشهد أن الرزق لا يكون إلا من الرازق الخالق، ويستحيل أن يكون

ذلك من غير خالق.

ودليل آخر: إما أن يكون الفضل من الميت، وإما أن يكون من حي فاضل، فالعقل يشهد أن الموات ليس بفاضل.

ودليل آخر: إما أن يكون الهدى من هادٍ ، وإما أن يكون من ميت ؛ فالعقل يشهد أن الميت ليس بهاد ، ولا مرشد ولا راشد ، ولا هدى أهدى من العقول المركبة في كل عاقل.

ودليل آخر: إما أن يكون التفهيم من مفهِّم، وإما أن يكون من موات فالموات لا يفهم فكيف إلى أن يفهم وليس بفاهم.

ودليل آخر: إما أن يكون التعليم من ميت جاهل ، وإما أن يكون من حي عالم، وقد وجدنا هذه الحيوانات معلمة للخيرات، ملهمة لنفي المهلكات، فالعقل يشهد أن التعليم حادث ، وأنه من معلم عليم ، إذ العقل يشهد أن التعليم من صفة عالم ويشهد أن التعليم لا يكون من فعل جاهل ميت عاقل ، وإن كان التعليم من غير عالم ، وكان من غير جاهل ، فهذا العدم بعينه والعدم لا يوجب شيئاً.

ودليل آخر: أنا نظرنا إلى جميع الحيوانات فإذا هي مهدية إلى كفالة أولادها وإلى طلب مناكحها ومآكلها ومشاربها ومنافعها ومساكنها ومصالحها ، مفهمة للنفور عن مضارها ومهالكها ، فعلمنا أن الهداية هي الأدلة ، والأدلة لا تخلو من أن تكون من عالم حي، أو من صنع ميت، والعقل يشهد أن الدليل لا يكون ميتاً، ويشهد أن الهادي لا يكون جاهلاً.

ودليل آخر: إما أن تكون هذه العقول المركبة الدالة من مركِّب دال، وإما أن تكون من ميت، والعقل يشهد أن الميت لا يدل على خير ولا شر، ويشهد أن العقل من أجلّ العلوم والعلم لا يكون من فعل الأموات، والعقل يشهد أن العلم من فعل عالم.

فإن قلت: إن هذا العلم الحادث في الصدور، المحيط بجميع الأمور ، المميز بين الخيرات والشرور من فعل طبع ميت، فالعقل يشهد أن الميت لا يصنع العلم.

وإن قلت: إنه من فعل لا شيء؛ ناقضت قولك لأن لا شيء لا يصنع علماً ولا جهلاً، لأن لا شيء عدم، والعدم ليس بجاهل ولا عالم ولا حي ولا ميت، وإنما هو نفي، والنفي فهو كلامنا ونفينا.

وإن قلت: بل هو من فعل عالم صدقت ، وكان ذلك ضرورة كما ذكرت.

وإن قلت: إن هذا العلم لا من حي ولا من ميت ولا من شيء أصلاً ، لم تخل من أن تكون أوجبت بهذا القول عدمه أو قدمه؛ فإن كنت أوجبت عدمه أكذبك وجوده، وإن كنت أردت قدمه أكذبك حدثه.

ودليل آخر: إن كنت تريد بهذا القول نفي الخالق ، فكيف يثبت الخلق بغير خالق؟ فإن قلت: من أجل أن الخلق قديم، أحلت ؛ لأنا قد أوضحنا حدثه.

وإن قلت: من أجل عللٍ قديمة ، فقد أوضحنا لك أن العدم لا شيء، ولا شيء نفي، والنفي لا يوجب إثبات شيء.

وإن قلت: من أجل الحدث؛ فالحدث من المحدث إذ ليس إلا المحدث الفاعل أو العدم فلما انتفى العدم ثبت الخالق تبارك وتعالى.

باب الدلالة على نفي الصفات عن الخالق والدليل على قدمه

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -عَلَيْه السَّلام-: فلما صح أن للأشياء خالقاً محدِثاً جاعلاً ، صح أنه بخلافها من جميع المعاني ، وصح أنه لا يشبهها في الذات ، ولا الفعل ولا الصفات؛ ألا ترى أنه لو أشبهها في بعض الشيء لكان ذلك البعض مثلها في الحدث ، والحدث لا يتعلق بقديم ؛ لأنه لا يوجد متعلقاً إلا في كله أو بعضه، وللكل والبعض نهاية ؛ لأن الكل محدود ، والبعض لا يتعلق إلا في متحرك أو سكان، والمتحرك والساكن محدثان ، ولو أشبهها في كل شيء لكان محدَثاً مثلها، ولو كان محدَثاً لما كان رباً؛ لأن المحدَث مربوب ، والمربوب مخلوق ، ولا فضل لمخلوق على مخلوق في معنى الحدث بعد العدم؛ فوجب أن الخالق لا يشبه المخلوق ، وفي ذلك من الأدلة ما يكثر لو شرحناه ويطول به الكتاب لو ذكرناه.

فإن قال قائل ملحد أو سأل سائل مسترشد: فما تنكرون من أن يكون الخالق مخلوقاً وخالقه مخلوق إلى ما لا نهاية له؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنك جعلت الكل مخلوقين ، ويستحيل أن يكون المخلوق رباً لمخلوق ؛ إذ هما سواء في الحدث لا فرق بينهما.

ودليل آخر: إما أن تكون هذه المحدثات أحدثتِ وفعلت بأمر قديم أو بأنفسها.

فإن قلت: بأنفسها؛ فهذا محال لأن المحدَث مربوب ، والمربوب لا فضل له على المربوبات ؛ إذ سبيله سبيل المحدثات.

وإن قلت: إن الأصل هو القديم ، أَثْبَتَّ الخالق سبحانه.

ودليل آخر: إذا كان الخالق آخر المخلوقات ، وكان محدَثاً بعد مُحْدَثَات ، لم يخل ما قبله من المحدثات من أحد وجهين: إما أن يكنّ كلهنّ مثله في الحدث، وإما أن يكون بعضهن محدثاً وبعضهن قديماً.

فإن قلت: كلهن محدثات أوجبت لهن محدِثاً قديماً بخلافهن أحدثهن وخلقهن.

وإن قلت: إن بعضهن محدث وبعضهن قديم أوجبت أنهن على قسمين: قسم محدث مخلوق ، وقسم خالق قديم ، والخالق لا يسمى قسماً ولا بعضاً.

ودليل آخر: إذا كان الخالق بزعمك مخلوقاً وقبله خالق قديم وخالق إلى ما لا نهاية له فقد جعلته آخر الخالقين المخلوقين، وفي هذا تناقض أن يكون المحدَث قديماً، والخالق مخلوقاً، وإذا كان لهم آخر فلهم أول، ويستحيل آخر بلا أول.

ودليل آخر: لم يقع كلامك إلا على مخلوقات ولا بد للمخلوقات من خالق قديم.

ودليل آخر: إما أن تكون عنيت بقولك لا نهاية تريد الكل من المحدثات، أو البعض، أو لم تعن كلاً ولا بعضاً وفي هذا ما كفى.

ودليل آخر: إذا كان هذا الخالق المخلوق آخر المخلوقات لم يخل من قبله من الخالقين المخلوقين من أن يكونوا الآن كلهم موجودين ، أو كلهم معدومين ، أو بعضهم موجوداً أو بعضهم معدوماً.

فإن قلت: إن الكل موجود فللكل نهاية وغاية، إذ لم يبق منهم شيء حتى هو الآن موجود لم يعدم منهم شيء، وإذا صح وجود الكل وصح حدث الكل صح المحدث الخالق لزوال القديم ، وهو الله الرحمن الرحيم الواحد الحكيم العليم.

وإن قلت: إن الكل معدوم الآن فللكل نهاية ؛ لأن ما صح حدثه كله وصح عدمه كله بعد وجوده وحدوثه، صح حدثه بعد العدم ومغيبه ، وهو الله خالقه وباريه.

وإن قلت: إن البعض موجود ، والبعض معدوم ، جعلتها مقسمة قسمين: قسم هو الآن موجود كله مخلوق ، وقسم كله قد عدم بعد حدوثه ومضى بعد إيجاد موجده ومحدثه، وكلا القسمين لم يخل من الحدوث والله محدثهما وخالقهما ، ومفني ما في بمشيئته ، ومبقي ما بقي برحمته.

وإن قال: إن قيل: كل شيء شيأ شيئاً.

قيل له: أتعني بقولك لا نهاية له كل ما هو الآن موجود أو كل ما هو الآن معدوم أو ما بعضه معدوم وبعضه موجود؟ فلا تجد مخرجاً إلا أن تقول: لم أعن شيئاً فتبطل جميع الأشياء، أو تقول: عنيت بالعدم بعض المعدوم فتنقض قوله لأنه إذا أوجب العدم على قسم ثم قال عنيت بعضه فقد نقض قوله لأنه لا فضل لبعض المعدوم على بعض إذ كله معدوم.

وكذلك إن عنى بالوجود بعض الموجود فقد نقض قوله لأن الوجود وجود كله والعدم عدم كله، وأينما ذهب لم يجد مذهباً ما يذهب إليه نهاية للأشياء.

ودليل آخر: أن هذه الأرباب المخلوقة التي زعمت محدثة، وإذا كانت محدثة فيستحيل قولك خلقت أمثالها ؛ لأن المخلوق لا يقدر على خلق مثله ، ويستحيل أن تكون الأجسام من فعله.

باب الدلالة على نفي الصفات عن الله فاطر السماوات

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -صلوات الله عليه-: إن سأل سائل فقال: هل لله صفات.

قيل له ولا قوة إلا بالله: مسألتك تحتمل وجهين: إما أن تكون أردت أن له صفات غيره بها علم وقدر، وإما أن تكون أردت أن له صفات هي هو؟

فإن قلت: إن معه صفات غيره، بها قدر وعلم؛ فهذا محال أن يكون معه في القدم غيره أو يكون أيضاً محتاجاً إلى غيره.

ودليل آخر: لو كان له صفات غيره لم تخل تلك الصفات من أحد وجهين : إما أن تكون متعلقة به، وإما أن تكون مباينة له منفصلة عنه.

فإن قلت: إنها متعلقة به جعلته محلاً وموضعاً، والمحل لا يكون إلا مكاناً ، والمكان لا يكون إلا جسماً.

ودليل آخر: لا يخلو من أن تكون متعلقة بجميعه فتكون له كل، وإما أن تكون متعلقة ببعضه فتكون جزئين ، جزء خلا من الحلول ، وجزء محلول ، والكل والبعض لا يكون إلا مفترقاً أو مجتمعاً ، والمفترق والمجتمع لا يكون إلا من الأجسام ، لأن المفترق مفصل لا بد له من مفصِّل ، والمجتمع موصل لا بد له من موصِّل، والمجتمع والمفترق لا يكون إلا متحركاً أو ساكناً، وقد أوضحنا حدث المتحرك والساكن فيما تقدم من كلامنا.

وإن قلت: إن له صفات هي هو أصبت في قولك؛ لأنه واحد ليس معه شيء يعلم به ولا يقدر ولكنه غني حكيم عالم قادر حي بغير معاني سواه.

فإن قال: من أين علمتم أنه حي؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: دلنا على أنه حي أنا نظرنا إلى صنعه فإذا هو محكم متقن والإحكام لا يكون إلا من حكيم ، والحكيم لا يكون ميتاً ؛ لأن الميت لا يعقل ولا يتقن ولا يحسن ولا يسيء.

فإن قال: من أين علمتم أنه عالم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنا نظرنا إلى إحكام الصنع فإذا هو دليل على أنه من غير جاهل؛ لأن الجاهل حائر ، والفاعل لا يفعل إلا بعد علمه بالمفعول.

فإن قال: وما أنكرت من أن يكون فعل بجهل؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنا نظرنا إلى الفاعل بالجهل فلم يخل عندنا من أن يكون أتقن الصنع وأحكمه بفكر وذكر بعد نسيان، وإما أن يكون فعل ذلك بعلم لم يسبقه سهو ولا نقصان.

فإن قلت: إنه فعل ذلك بخاطر فكر بعد جهل؛ فهذا محال ، لأن الخاطر من صفة مخلوق عاجز غير قادر ، لأن الذكر عرض عارض لا يكون إلا في جسم متحرك أو ساكن، كل أو بعض، وكذلك النسيان فهو عرض يحل في القلوب ، وذلك أولى ما ننزه عنه علام الغيوب.

وإن قلت: إنه فعل ذلك وهو عالم أصبت، وكان ذلك أحسن ما ذكرت، وكان الموصوف بالعلم أولى من وصفت.

فإن قال: من أين علمتم أنه قادر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنا نظرنا إلى الصنع فإذا هو مخترع من غير أصل ولا بداء، فعلمنا أنه من فعل قادر ؛ لأن العاجز لا يصنع الشيء من غير أصل ولا بداء ، وقد بينا في أول كلامنا حدث الأشياء من غير شيء، ولأن العجز عرض لا بد أن يكون في الكل والبعض ، أو في الطول أو في العرض.

فإن قال قائل: فكيف يعقل بعقل شيء ليس بجسم ولا عرض ، ولا له كل ولا بعض، ولا طول ولا عرض؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: يعقل بما أظهر من صنعه الجليل ، الذي لا تمتنع منه العقول، ولا يوجد إلى دفعه سبيل.

فإن قال: فكيف يعتذر بأن لا نراه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أنا لو رأيناه لما عبدناه، وذلك أن الإبصار لا يقع إلا على مفترق أو مجتمع ، و لم يستدل على الله إلا بالمفترق والمجتمع لأنهما محدثان ، ولا بد للمحدَث من محدِث وخالق أحدثه ، ولا بد أن يكون بخلافه من جميع المعاني.

فإن قال: فبم عرفته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: بما هو أولى وأحق من الإبصار ، وأصدق من جميع الأخبار.

فإن قال: وما ذلك؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: ذلك العقل الذي لا يجوز عليه المحال، ولا يقبل ما فسد من المقال، فلو أدركنا صنع جميع الأشياء مشاهدة رأي أعيننا ، لما كان ذلك أبداً مثل العقل عندنا، فالحمد لله الذي هدانا إلى معرفته، وعلمنا ما نستدل به على حكمته، ووهب لنا التمييز برحمته، فلقد جاد علينا من العقول بما لا نؤدي شكره؛ فالحمد لله الذي ضمن قلوبنا نوره، ونسأل الله أن يجعله آمراً لنا بالخيرات، وزاجراً عن السيئات، وأن ينجينا به من الموبقات ، وينتقذنا به من المهلكات؛ فكم محجوج به لم ينتفع بضياء بهجته، و لم ينف به حندس ظلمته، و لم يخرج به من معصيته، و لم يطلب به رضاء الله في آخرته، وصرفه في أهلك مهالكه، وسلك به شر مسالكه، فلعمري ما أتينا من قبل عقولنا ولكن من سوء أفعالنا وظنوننا، فنسأل الله المغفرة لما تقدم من ذنوبنا.

باب الدلالة على التعبد

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -صلوات الله عليه-: إن سأل سائل فقال: ما الدليل على التعبد.

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أن الله ركب الاستطاعة في العباد والشهوة، فلم يكن بد من صرف الاستطاعة في خير أو شر، فتعبدهم بفعل الخيرات، وترك الفاحشات، إذ الحكيم لا يحب الفساد.

فإن قال: و لم ركب فيهم الاستطاعة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن الاستطاعة هي القدرة، والقدرة خير من العجز، والعقول هي العلم، والعلم أفضل من الجهل.

فإن قال: فلم كلفهم ما يستثقلون؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: للفرق بين المطيعين والعاصين.

فإن قال: و لم فرق بين المطيعين والعاصين؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: ليميز بين الخبيث والطيب، إذ ليس من صفة الحكيم أن يجعل المفسد والمصلح سواء في محل واحد.

فإن قال: فلم خلقهم وقد علم بإفسادهم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن خلقه لهم حسن ، وفعلهم قبيح ، و لم يكن الحكيم ليترك فعل الحسن من صنعه لقبح فعل غيره.

فإن قال: فما الدليل على البعث؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على ذلك أن الحكيم لا يخلق الخلق ويظهر الحكمة إلا للبقاء؛ لأن الفناء بالكلية ليس من الحكمة ، وإذا لم يكن بد من أمر ونهي ، فلا بد من مأمور مطيع وعاصي، وإذا لم يكن بد من الطاعة والمعصية فلا بد من الثواب والعقاب، وإذا لم يكن بد من الثواب والعقاب و لم يكن ذلك في هذه الدار فلا بد منه في غيرها، وإذا لم يكن بد من التعبد و لم يكن ذلك إلا بأمر ونهي فلا بد من رسول.

فإن قال: فلم خلقهم في بدء المعنى؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن إظهار الحكمة من صفة الحكيم.

فإن قال: وبم تظهر الحكمة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن إظهارها حسن.

فإن قال: و لم يظهر الحسن؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن إظهار الحسن خير من تركه.

فإن قال: ومن أين كان إظهار الحسن خير من تركه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنه لم يكن بد من أحد المعنيين : إما تركه وإما فعله فتركه ليس من صفة الحكيم، وفعله أولى بالحكمة.

فإن قال: فمن أين جاز الشرع؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: من قبل التعبد لأن الشرع هو نفس العبادة والبلوى التي بها يفرق بين من أحسن وأساء.

فإن قال: فمن أين جاز [أن] يتنبأ بعض الخلق دون بعض؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن النبوة ثواب وتفضل، والثواب والتفضل لا يكونـــان إلا بفعل الطاعة والصبر على المحنة.

فإن قال: فلم ختم النبوة بمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعلى آله؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنه لم يخرج من الحكمة، إذ جعله نذيراً لجميـــع البـــاقين، وحجة إلى يوم حشر العالمين.

فإن قال: و لم جاز أن يكون الميت حجة على الأحياء المتعبدين؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنه أتى بالتعبد والآيات والقرآن الحكيم، والأئمة الهـــادون مترجمون عنه، والعقول شاهدة مع ذلك على المخلوقين ، وكل ذلك فلم يعدم لعدمـــه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم-.

[الكلام في الإمامة ولمن تكون]

فإن قال: فهل الإمامة أصل في المعقول؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم أصل الإمامة في المعقول ؛ لأن الحكيم قد علم بأن لا بد من الاختلاف بين المخلوقين فجعل في كل زمان إماماً حياً مترجماً لغوامض الأمور، مبيناً للخيرات من الشرور، ولا يعدم ذلك في كل قرن من القرون إما ظاهراً جلياً ، أو مغموراً خفياً.

فإن قال: وما الظاهر الجلي وما المغمور الخفي؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أما الظاهر فالسابق المنذر لجميع الخلائق، والشـــاهر لســـيفه المصلح لله في عباده وبلاده، وأما المغمور فالمقتصد المحتج لله في جميـــع العبـــاد، الآمـــر بالمعروف والناهي عن الفساد، بغير قيام ولا جهاد.

فإن قال: فهل الإمامة في أهل بيت دون غيرهم أم هي في جميع الناس كلهم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: بل هي في أهل بيت معروفين، مخصوصين بالفضل مشهورين، معلومين غير مجهولين.

فإن قال: ومن أولئك؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أولئك نسل البتول، وأقرب قرابة الرسول.

فإن قال: فهل لهذه الخصيصة أصل في المعقول؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم أصل ذلك في العقول، وبعد ذلك في محكم التنزيل، ووحي الواحد الجليل.

فإن قال: وكيف يعقل أن تكون الإمامة في قوم دون سائر الأنام؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن الله عز وجل حكيم والحكيم لا يحب الفساد، ولا فساد أعظم من أن يجعل دينه في أيدي الخلائق وأمره ونهيه وحدوده وحلاله وحرامه، ووعده ووعيده وحجته وأحكامه، فيهمل الكل ويلبس عليهم دينهم إذا جعل الإمامة في جميعهم، و لم يكن ذلك في قوم بأعيانهم، مخصوصين بذلك من دون غيرهم، حتى لا يختلف فيهم، فهذا في المعقول.

وأما في الكتاب فقول الله عز وجل يدل على أصل الإمامة، وكذلك في السنة المجمع عليها عند جميع الأمة.

فأما وجوبها في الكتاب فقول الله عز وجل لنبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعلى آله-: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ(٧)**﴾ [الرعد]، فبين أن لكل قوم هادياً؛ فاختلفوا في الهادي من هو؟ وممن هو؟ فبين الله ذلك بفضله فيما نزل من محكم قوله فقال عز من قائل: ﴿**قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا(١٠) رَسُولًا**﴾ [الطلاق]، فسمى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعلى آله- ذكراً ثم أمر بسؤال آله فقال عز من قائل: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(٤٣)**﴾ [النحل]، وأهل الذكر فهم آل محمد -عليهم السلام-.

وفي ذلك ما يقول عز من قائل لنبيه المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم- فيما نزل من الفرقان إليه: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى:٢٣]، فافترض مودتهم على الخلق فرضاً، وأمر نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم- بأن يأمر الناس بذلك أمراً.

فهذا في الكتاب المبين وفيه كفاية لجميع المسلمين ، غير أنا سنذكر أيضاً بعض ما ذكر الرسول مما لا تنكره العقول ، مثل قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله-: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)).

وأما في الإجماع: فأجمعت الأمة كلها على نبيها -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله- أنه قال: ((الحق ما أجمعت عليه الأمة والباطل ما اختلفت فيه)) ووجدنا الناس كلهم مجمعين على إمامة أمير المؤمنين ونسله في أصل الإجماع.

وأصل الإجماع أن الناس أجمعوا كلهم على جواز الإمامة في آل الرسول، واختلفوا في غيرهم؛ فالحق ما أجمعوا عليه من جواز الإمامة في آل نبيهم، والباطل ما اختلفوا فيه من إمامة غيرهم؛ لأن الأمة خمس فرق وهم: الشيعة، والمعتزلة، والخوارج، والمرجئة، والعامة.

فأما الشيعة فقالت: الإمامة لآل علي دون غيرهم.

وأما المعتزلة والخوارج: فزعموا أنها في الناس كلهم، ومن أجازها في الناس فقد أجازها في أهل البيت إذ هم خير الناس.

وأما العامة والمرجئة؟ فزعموا أن الأئمة في قريش ومن أجاز الإمامة في قريش فقد أجازها في آل محمد -عليهم السلام- إذ هم خير قريش، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليماً.

كتاب الرد على الملحدين وغيرهم من فرق الضالين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، توكلت على الله

الحمد لله الواحد القديم الذي لا نهاية لقدمه، ولا إحصاء لنعمه، المتفرد بوحدانيته، المنعم على جميع بريته، الموصوف بحكمته، الموجد لجميع الخلق بقدرته، ونفاذ مشيئته، وتمام كلمته، العزيز الذي لا يضام، القوي الذي لا يرام، ولا يَسِن ولا ينام، ولا يدركه الطالبون، ولا ينجو منه الهاربون، ولا يتوهمه المتوهمون، ولا تشتبه عليه الأصوات، ولا يغشاه النور ولا الظلمات، ولا تدركه حواس المُحسِّين، ولا يحيط به فكر المربوبين، ولا يخطر على قلوب المخلوقين، تقدس عن ذلك رب العالمين.

جار عن قصد السبيل من كَيَّفَه، وأخطأ ظن من اكتنهه، ولم يعرفه من وصفه بغير ما وصف به نفسه، وكفر به من حدّه بحد أو أيَّنه، وشبّهه من بعّضه، وجار به من جمعه، ليس بمجتمع فيعرف بالتحديد، ولا بمفترق فيعرف بالتعديد، ولا متحرك ولا ساكن فيوصف بصفة العبيد، عز عن ذلك ذو العرش المجيد، والبطش الشديد، ليس بجسم فتدركه الأبصار، ولا تحويه الأقطار، ولا تقع عليه الأفكار، ولا يشبه شيئاً من المصنوعات، فينال بالأوهام الجائلات، ولا تنال معرفته بحاسة من الحواس المدركات، فيدخل في صفة المحدثات المطيعات، ولا ذاته سبحانه في جهة من الجهات، فيوصف بصفات المجيبات المأينات[1]؛ فتبارك وتعالى من لا يوصف بشيء من هذه الصفات، وحده لا شريك له.

وأشهد ألا إله إلا الله شهادة عبد مقر بعبوديته، مصدق بربوبيته، ومعتقد لألوهيته، راج لعفوه ورحمته، هارب إليه من خوف عقوبته، معتصم به مستوهب لهدايته، ومؤمن به متمسك بطاعته، شهادة لا يخالطها شك ولا ارتياب، ولا يعترض دونها شرك ولا

---

[1]- في (ب): فيوصف بصفات المحدثات المباينات.

إكذاب.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شهادة مقر بنبوته، معتقد لمحبته.

وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.

وأشهد أن وعده ووعيده حق، وقوله سبحانه صدق، وأنه عدل في حكمه، رؤوف بجميع خلقه.

وأشهد أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه- كان خير البرية بعد نبيها -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله- وأولاهم بمقام الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله- وأبرعهم علماً، وأكثرهم حلماً، وأطوعهم لربه، وأبذلهم في سبيل الله لنفسه، وأكملهم في جميع صفاته.

وأشهد بإمامة ولديه السبطين الإمامين الكريمين العالمين الحسن والحسين ابني الرسول، وسليلي البتول، وأن الإمامة من بعدهما فيمن طاب من ذريتهما، واحتذى بحذوهما، وكان في جميع صفاته مثلهما.

اللهم فمن شهد بمثل ما شهدت به فاكتبه مع الشاهدين، ومن لم يشهد بمثل ما شهدت به فاكتب شهادتي مكان شهادته.

والحمد لله على تمام نعمته، وإكمال حجته.

وبعد: فإني لما اطلعت على كثير من أقاويل الملحدين، وزخرف قول المتلددين، واختلاف أهواء الضالين، وباطل كلام المتحيرين[١]، واستغلاط الجاحدين الجهلة للمسلمين، وسرعة القلوب إلى الأوهام، وتقحمها في لجج الظلام[٢]، وشكها في زخرف الكلام، ووجود ما ذكرت في أكثر الأنام، وإن لم يُبْدُوا غير دين الإسلام؛ فنعوذ من ذلك بذي الجلال والإكرام.

حداني ذلك على تصحيح ما دنا به من الدين، وإبطال وساوس الشياطين، فكان أول

---

[١]- في (ب): المتجبرين.

[٢]- في (ب): الإظلام.

ما ينبغي لنا أن نذكره، ونبين لمن عقل خلله، ونحتج عليه بأبين الحجج، مَن جحد خالقه، وأنكر صانعه من الدهرية الكفرة، وغيرهم من الثنوية المتوهمين، الظانين بالله ظن السوء الجاحدين.

أجمعوا -لعنهم الله- على نفي خالقهم، وجحدان صانعهم، حيرة منهم -لعنهم الله- واستكباراً، واستعظاماً لكون الحق وإنكاراً، وتسهيلاً في الدين، ومعاندة للحق جهاراً، وإعلاناً بالسوء وإسراراً، فنعوذ بالله من قبول خواطر القلوب، والشك في دين علام الغيوب، ونسأله النجاة من موالاة الشيطان، والحيرة والمرية والجحدان؛ فكم من هالك أردى نفسه بالوهم، وتقحم في لجج الظلم، قد فارق الحق والهدى، واتبع الغي والردى، وتردد في الدين تردداً، وتشعبت به أوهامه فهو في بلية من نفسه فيما تدعوه إليه من تماديه في غيه، وصده عن رشده، قد ملكته فأهلكته بأهوائها، وتفرقت به السبيل بإغوائها، وزخرفت له ما أمرته من الأسواء، وردته فيما زينت له من الأهواء، ورغبته فيما دعته إليه من الإغواء، فهو غير مخالف لها فيما تدعوه إليه، ولا منكر عليها فيما تحضه عليه من ترهات المنى، وما ترغبه فيه من الركون إلى الدنيا، قد نسي الموت وما بعده من الحساب، بما دخل نفسه من الشك والإرتياب، فنعوذ بالله؛ فما أردأ الكافرين ، وأبعدهم وأقصاهم عن رب العالمين.

باب الرد على الدهرية

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -صلوات الله عليه-: إن سأل سائل فقال: (ما الدليل على حدوث الأشياء وأن لها صانعاً و)[1]ما الدليل على صنعة[2] الله في الإنسان؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على ذلك قول الله سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ**

---

[1]ـــ في (ب) زيادة ما بين القوسين.

[2]ـــ في (ب): وما الدليل على صنعه.

سُلَالَة مِنْ طِين(١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِين(١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(١٤)﴾ [المؤمنون]، فأخبرنا سبحانه عما لا ننكره لما شاهدنا من ذلك بأبين البيان، وأيقن اليقين، محدثاً لا يخفى، بيناً نوره لا يطفى.

فإن قال: وما أنكرت من أن تكون هذه الأشياء قديمة العين، حديثة الأحوال بالقوة الهيولية، وهي الأصلية في لغتنا؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك أشد الإنكار وذلك أن القديم لا يكون محدثاً، كما لا يكون المحدث قديماً، وقولك قديم نقضه بين إذا قلت: ثم حدث فيه حادث، لأن الحادث لا يجري في قديم، كما لا يجري القديم في الحادث.

ودليل آخر: أن المحدث فيه إبانة صنع محدثه، ومحال أن يكون للقديم صانع محدث.

ودليل آخر: يوضح فساد قولهم قديم العين حديث الأعراض، أن هذا القديم الذي زعمت لا يخلو من أحد وجهين: إما أن يكون لم يزل ممتنعاً من الحدَث غير موجود بجميع صفاته، وإما أن يكون غير ممتنع من الحدث.

(فإن كان غير موجود الصفات قبل كونه و)[١] كان غير ممتنع من الحدث صح أن له خالقاً نقله من صفة إلى صفة حتى أبلغه الغاية التي أراد.

وإن كان لم يزل ممتنعاً من الحدث ثبت على امتناعه ودوامه، و لم يجز أن يتغير أبد الأبد عن صفة القديم؛ لأنه إن تغير إلى صفة الحدث استحال قدمه، ولا يجوز أن يكون القديم مواتاً[٢] ولا مركباً ولا محدثاً[٣] ولا موصوفاً بصفة تدل على حدثه، وهذا وجه قد تبين فساده بحمد الله.

---

(١)- ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٢)- في (ب): مؤلفاً.

(٣)- في (ب): ولا محدوداً.

باب الرد على أصحاب الكمون

فإن قال: وما أنكرتم من أن تكون هذه الأشياء لم تزل موجودة بجميع صفاتها، وهي كوامن في أعيانها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لاستحالته وبطلانه، وهذا القول مكابرة العيان، لأنا وجدنا النطفة والعلقة معدومة، ثم كانت علقة والمضغة عدم في حال كونها علقة، ثم مضغة والعظام معدومة، ثم كانت عظاماً مؤلفة لا بد لها من مؤلف وكسوة اللحم عدم، ثم صَوَّرَ بعد عدم التصوير، والمحدث ما لم يكن ثُمَّ كان، وقد وجدنا هذه الأحوال بعد العدم والصورة غير موجودة في حال كونها نطفة، والحركة معدومة في كل موات من الإنس وغيرهم من الجمادات، والحياة معدومة في حال الموت، والصورة لا بد لها من مصور وفيها إبانة لصنع صانع حكيم.

فإن قال: وما إبانة الصنع في الصورة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: تأليف الأجزاء وإحكامها، وتقديرها وإتقانها، تدل على صنعها، إذ لم يكن شيء من ذلك فقضينا على أن لكل مُؤَلَّفٍ كان معدوم التأليف مؤلفاً، ونظرنا الحياة بعد الموت فعلمنا بيقين أن له محيياً، إذ لم نجد صنعاً إلا وصانعه موجود وإن لم نره، كالبناء لا بد له من بانٍ وإن لم نر من بناه، والكتاب لا بد له من كاتب وإن لم نر كاتبه، والأثر وإن لم نر مؤثره، والصوت إذا سمعناه علمنا أن له مصوّتاً وإن لم نره.

ودليل آخر: وهو أن صنع الحكيم العالم بين، ومحال أن يكون في العلل إبانة صنع، وذلك أن الحكمة لا تكون إلا من حكيم، ولا بيان علم إلا من عليم، وهو الله الرحمن الرحيم، لأنا نظرنا الإنسان إنساناً كاملاً بعد أن كان نطفة من ماء مهين، فعلمنا أنه لا بد له من مكمّل أكمله، ونظرنا إليه حياً بعد أن كان ميتاً، سميعاً بصيراً بعد أن لم يكن سميعاً ولا بصيراً، فبان صنع العالم الحكيم، إذ جعل سبحانه له سمعاً يدرك به الأصوات، وبصراً يدرك الهيئات، وشماً يدرك به جميع الروائح من الخبائث والطيبات، وذوقاً يدرك به ما ذاق به من الطعوم المختلفات، ولمساً بالجسد كله يدرك به الحر والبرد والخشن واللّين وغيرهما

من الأحوال المجسمات.

فكل هذه الحواس المختلفة تدل على حكمة صانعها، إذ خالف بينها فجعل كل حاسة تصلح لخلاف ما تصلح له الأخرى.

ودليل آخر: لا تخلو هذه المختلفات من أحد وجهين: إما أن تكون خالفت بين أنفسها، وإما أن يكون خالف بينها مدبر ما.

فإن كانت خالفت بين أنفسها فهذا محال، لأنها لم تكن واعية عند كونها، ولا عالمة في حال عدمها، فلما استحال هذا الوجه صح الثاني، وهو أن لها مدبراً خالف بينها، إذ الفاعل الحكيم بيَّنَ صُنعَهُ في إحداثها، وجعل كل واحدة من هذه المختلفات لشيء بعينها، ولا يجعل الشيء للشيء إلا حكيم، ولا يجعل الشيء للضروارت إلا عليم، ألا ترى أن هذه الحواس قد جعلت لعلم جاعلها بضرورة أصحابها إليها، وفاقتهم لها، وجعل سبحانه لهم من الأغذية واللذات، ما لا قوام له باضطرار إلا بها، وجعل لهم مداخل للأغذية ومخارج، ولا يجعل المخارج للشيء إلا عالم بما صنع من المداخل التي لا قوام لهم إلا بها، ولا منصرف لهم عنها، إذ اضطرهم إليها، وجعل لهم ما ينتفعون به من الآلات والأدوات، من الأيدي التي تصلح للبطش، والأرجل التي تصلح للخطو والحركة والسير، والألسن الناطقة بأفنان الحكمة المؤدية للمصلحة، والعقول المنيرة النافرة عن المضار، المجتلبة للمنافع التي هي حجج على من جعلت له، ولا تكون حكمة محدثة صح حدثها، وبطل قدمها، وكانت بعدمها إلا من حكيم، مدبر عليم، حي قيوم، ولا يجعل ذلك إلا لبقائه ونفعه، لا لفنائه وضره، إذ الحكمة موجبة لذلك فيما قد بان من رأفة الصانع، إذ جعل في المصنوعات مصالح تدل على أنه أراد بذلك لها، وأخبر بذلك على لسان نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله-.

ولذلك[1] أوجبت حكمة الألباب أن من مُكِّنَ من الاستطاعة من الأنام لا بد من

---

[1]ـــ في (ب): وكذلك.

إساءته وإحسانه، فوجب لذلك الثواب على إحسان من أحسن من المحسنين، ووجب عقاب من استحق العقوبة من المسيئين؛ فلما انقضت آجال المحسنين و لم يثابوا، وانقضت آجال المسيئين و لم يعاقبوا، علمنا أن داراً غير هذه الدار، يثاب فيها من استحق الثواب من المحسنين، ويعاقب فيها من استحق العقوبة من المسيئين.

فنسأل الله أن يرزقنا ما رزق المستحقين لثوابه، وأن يصرف عنا ما استوجب العاصون من عذابه، وأن يثبت أقدامنا على صراطه إنه على كل شيء قدير، وإليه المعاد والمصير.

باب الرد على أهل الإلحاد في التولد، وقولهم إنه لا نهاية لشيء من الأشياء، وإنه لم يزل نطفة من إنسان وإنسان من نطفة، وبيضة من طائر وطائر من بيضة إلى ما لا نهاية، وحبة من سنبلة وسنبلة من حبة إلى ما لا نهاية له ولا غاية

قال[1] **المهدي لدين الله** الحسين بن الإمام القاسم بن علي -صلوات الله عليه-: فإن قال بعض الملحدين: فما أنكرت من أن تكون هذه الحيوانات، لم تزل[2] يحدث شيء من شيء ، وشيء بعد شيء ، وشيء قبل شيء إلى ما لا نهاية له ولا غاية؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك أشد الإنكار وقولك متناقض فاسد، وذلك أنك قلت: لم تزل فأوجبت أنها أزلية؛ ثم نقضت قولك بقولك تحدث فأوجبت الحدث والقدم في حال واحد فأدخلت القول على نفسك، وذلك أنك إذا جعلتها أزلية بطل الحدث، وإذا جعلتها محدثة [بطل القدم، وإذا جعلتها محدثة][3] أزلية فسد قولك لاستحالة كونها معاً في حال واحد كما قد ذكرنا.

ودليل آخر على فساد هذا القول: أن كل شيء موجود بذاته محدث له غاية في نفسه.

---

[1]- في (ب): قال مولانا الإمام أمير المؤمنين الحسين بن القاسم -صلوات الله عليهما-.

[2]- في (ب): لم تزل تحدث شيئاً من شيء، وشيئاً بعد شيء، وشيئاً قبل شيء.

[3]- زيادة في (ب).

ودليل آخر: أن الكل منهم وإن كثر كون بعضهم من بعض له نهاية وغاية، وعليه نعمة في تركيبه، وبنيته حكمة، والنعمة لا تكون إلا من منعم، والحكمة لا تقوم إلا بمحكم، وما كان من الحيوانات منعماً عليه، وكان في جميع أسبابه محسناً إليه، فيستحيل أن يكون متناهياً، وأن يكون من غير أصل ولا بناء.

ودليل آخر: أن كل ما احتمل الزيادة والنقصان، فقد كان ناقصاً قبل زيادة ما زاد منه، إلى غاية الزايد المتناهي إلى النقص، لأن الزائد لا يزيد إلا بعد النقصان، والنقصان متناهي بأبين البيان، لأن المنقوص محدود بأوضح البرهان.

ودليل آخر: أن كل ما كان له آخر، فله أول، ويستحيل آخر بلا أول.

ودليل آخر: الفرع والأصل، لما وجدنا الفرع دلنا على الأصل[1] ويستحيل فرع بلا أصل.

ودليل آخر: أن الحيوانات على قسمين قسم ميت هو الأصل، وقسم حي هو الفرع، وللقسمين غاية ونهاية.

ودليل آخر: أن الأصل لا يعدو مكانه الذي هو محله، ومحل أصول الحيوانات هذه الأرض، والأرض قد حوت الجميع وحازتهم، وتضمنت جميع الأموات وأحاطت بهم، وكل ما أحيط به فهو محدود، وكل شيء حل موضعاً فهو صفة أكبر منه عدداً، وما كان غيره أكثر منه كان بالبعض محدوداً.

ودليل آخر: أن أصول الحيوانات محمولة على الأرض كلها، وللكل نهاية وغاية، لأن المحمول على الأرض أقل من حامله، والأرض فقد حملت جميع الحيوانات، من الأحياء والأموات.

ودليل آخر: أن الأصول التي زعمت أنها غير متناهية لا تخلو من العدد، وكل ذي

---

[1]- في (ب): على أصله.

عدد لا يخلو من النوعين المعروفين وهما الشفع والوتر، وقد وجدنا كل ذي نسل من الإنس والبهائم والطير، والزرع من كل الأشجار ذوات زيادة غير منفك من العدد، والشفع له نهاية وغاية، وكذلك الوتر أيضاً.

ودليل آخر: أن الأصل وقع عليه الفناء، وكل ما فني وامتحق فله نهاية وغاية، ألا ترى أن الموت لا يقع إلا على نفس معدودة، متناهية محدودة.

باب الرد على أصحاب الطبع

قال المهدي لدين الله الحسين بن الإمام القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى قول أصحاب الطبائع فقال: ما أنكرت من أن تكون هذه الأشياء حدثت من الطبائع الأربع: الحَر والبرد واليبس والرطوبة عند امتزاجها واعتدالها، ثم نقص من جزء وزيد في جزء، فجاء ضرب غير الأول، ثم على هذا القياس كمثل خضرة وحمرة، وبياض وصفرة، مزج أيها فعدلت حيناً، ونقص من جزء وزيد في الآخر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك من وجوه شتى:

أحدها: أن قولك ظن بغير يقين شاهدته، فأرنا من ذلك ما رأيت، وأوجدنا من ذلك ما وجدت؟

فإن قال -وهو قائل لا شك-: حجتنا على ذلك أنا وجدنا الأجسام لا تنفك من هذه الطبائع الأربع فقضينا عليها بأنها دبرتها، إذ لم تنفك الألوان من الحمرة والخضرة، والبياض والصفرة وغير ذلك، فلو وجب أن يكون ما ادعيتم لكان أيضاً ذلك في القياس على ما ذكرتم.

ودليل آخر: أنا شاهدنا هذه الطبائع في الأجسام بعد إكمال الله لها غير فاعلة فعلاً مما ادعيتم.

ودليل آخر: أنا وجدنا في الصور التأليف والتركيب وآثار صنع الحكيم المؤلف

المركب، ومحال أن تكون العلل مؤلفة أو مركبة أو حكيمة عالمة، إذ هي عن ذلك محجوبة[١] الأجسام، ولا إساءة، ولا عقول لها تقي بها أنفسها، فكيف تدبر غيرها.

ودليل آخر: أن هذه الطبائع لا تخلو من أحد وجهين عند اجتماعها إما أن تكون جمعت أنفسها، وإما أن تكون مجموعة بأمر صانعها؟

فإن قلت: إنها جمعت بين أنفسها؛ فكيف تجمع بين أنفسها وهي أعراض لا توجد منفردة، ولو كانت منفردة بذواتها موجودة بأعيانها لاستحال ذلك ولما أمكن، إذ المفرق الجامع لا يكون إلا حياً.

ودليل آخر: أن الفاعل لا يكون إلا موجوداً قبل المفعول، وقد وجدنا هذه الطبائع مع وجود المحدِث، فعلمنا أن حال المحدثات سواء، إذ وجدت في حال واحد وعدمت في حال واحد، لأن الطبيعة لا توجد قبل الجسم، والجسم لا يوجد قبل الطبيعة، والطبيعة[٢] فإنما هي عرض، والأعراض على وجهين فمنها أعراض حادثة بعد حدوث الجسم، ومنها أعراض مع الجسم لم يسبقه و لم يسبقها، والأعراض فلا تسبق الأجسام أصلاً، ولا تنفصل بأعيانها أبداً.

فأما الأعراض التي حدثت مع الجسم فمثل الطبائع الأربع الحر والبرد واليبس والرطوبة، ومثل الاجتماع والطول والعرض، والحركة والسكون، لأنه قد يستحيل أن يوجد جسم ليس برطب ولا يابس، وكذلك يستحيل أن يوجد جسم ليس بمتحرك ولا ساكن، ويستحيل أن يوجد جسم ليس بحار ولا بارد، فمن هاهنا قلنا إن هذه الطبائع أصلية لم تحدث بعد الجسم ولها علل وتنقل وتصرف يطول شرحها.

وأما العلل التي يمكن أن تحدث بعد حدوث الجسم فمثل أن يكون ساكناً فيتحرك فتحدث الحركة، أو يكون الجسم مجتمعاً فتفترق، أو يكون طويلاً فيقصر فيحدث

---

[١]- في (ب): محجوبة لا إحسان لها ولا إساءة.

[٢]- في (ب): والطبيعة إنما هي أعراض.

القصر، ومثل الأعراض الحادثة في الحيوان بعد عدمها.

باب الرد على عبدة النجوم

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما جميعاً السلام-: فإن رجع إلى قول أصحاب النجوم فقال: وما أنكرتم من أن تكون هذه الأشياء تصورت لدور الفلك وحركات النجوم، والفلك متصل بالعالم كاتصال خيوط الإبريسم بآلة الحوك، فإذا دار الفلك على المصنوع بسعد تم وصلح، وإن دار عليه بنحس فسد و لم يتم، كما إذا حرك الصانع آلة الحوك الملائمة الشد أو اللحام أظهر في الحوك ما أراد من صورة إما رأس طائر وإما جناحه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنك قايست ما لا يقايس، لأنك قايست إيصال خيوط بآلة الحوك وتحريك الصانع لها وإظهار ما يريد بحركة الفلك والمخلوقين، وهذا ما لا ينقاس عند ذوي الألباب، لأن الخيوط متصلة بآلة الحوك غير مباينة [لها والنجوم مباينة][1] للمخلوقين وغير متصلة بأجسامهم، وحركتها غير متصلة بهم، إذ كل منهم منفرد بذاته، ولو أحدثت حركة النجوم في العالم حكمة لجاز أن يحدث من تحريك الصانع لجوارحه في الحوك صورة مختلفة بغير ملامسة؛ لأنه إذا جاز عندك أن يتحرك النجم بنفسه، فتفعل حركته في العالم صوراً جاز لحائك الإبريسم [أن يحرك نفسه فيحدث ألوان ثياب][2] وهو بعيد عنها كما جاز للنجم ذلك في الصور وهو بائن منها، فهذا وجه يبطل فيه قياسهم[3].

والوجه الآخر: أنك زعمت أن الفلك إن دار على المصنوع بنحس فسد و لم يتم، وإن دار عليه بسعد تم وصلح و لم يفسد، ووجدنا الأمر بخلاف ما ذكرت وذلك أنا نظرنا إلى

---

(1)— في (ب) زيادة.

(2)—زيادة في (ب).

(3)— في (ب): قياسكم.

الأحمال أحمال الإناث من الإنس والبهائم والطير والأشجار وما لا يحصيه إلا الله عز وجل من الحيوانات، ربما لم يتم وربما تم في حال دور السعود التي زعمتم أنه يتم في حال دورها، ووجدناه ربما تم وربما لم يتم في حال دور النحوس التي زعمتم أنه لا يتم فيها، وما كان من ذلك فبإذن الله وتقديره مما سنذكره إن شاالله تعالى من بيان صنع الله فيهما وفساد قول من زعم أنها قديمة الحركات إلى ما لا نهاية له.

والوجه الثالث: أنها في أنفسها مخلوقة أبان الله صنعه في إيجاده إياها.

فإن قال وهو قائل لا شك: وما دلك على أنها مخلوقة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: دلنا على ذلك إبانة صنعه فيها.

فإن قال: وما إبانة صنعه فيها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله وجوه شتى:

أول ذلك: تصويرها، وإحكامها وتقديرها، ولا بد لكل صورة من مصوِّر، ولكل تقدير من مقدِّر، ولكل تدبير من مدبِّر.

ودليل آخر: أنها لو كانت قديمة لما كانت في أوصافها مختلفة فلما وجدناها مختلفة الأنواع علمنا أن لها مدبراً خالف بينها، وفصل بعض هيئاتها ، وخالف بين صفاتها.

ودليل آخر: أن في العالم آثار حكمة صانع العالم، والحركات ليست بعالمة حكيمة مدبرة، ولا هي بحية مقدرة، لأنها علل متعلقة بأجسام النجوم غير متلاحقة لا تعدو مواضعها من معلولاتها.

ودليل آخر على فساد قولهم: أن حركات النجوم ليس لها أول وسنبين إن شاء الله فساد قولهم، وذلك أن ما قد مضى من حركاتها لا يحصى لكثرها في طلوعها وأفولها، وإقبالها وإدبارها، وما مضى فقد وقع عليه الفناء وما صح حدثه وصح فناؤه فله نهاية وغاية؛ لأن الحركة الماضية على حالين محدثين وهما الحدوث والفناء، لأن الحركة الماضية لم تعدم إلا بعد حدوث كل ساعة منها، وما صح حدثه وصح فناؤه بعد حدوثه فله نهاية وغاية، لأن آخر الحركة لم تعدم إلا بعد عدم أولها، وما كان له أول وآخر فله نهاية

وغاية.

ودليل آخر: أن دور القمر في المنزلتين الشامية واليمانية يدل على حدوث حركته وعلى حدوث ما كان من شكله، وذلك أنه لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه: إما أن يكون ما بقي من دوره في أحد المنزلتين أكثر من دوره في المنزلة الأخرى، وإما أن يكون ما مضى من دوره فيهما سواء بالسوية، وإما أن يكون لم يَدُر فيهما أصلاً.

فإن قلت: إنه لم يدر؛ جحدت حركته.

وإن قلت: إن دوره في أحد المنزلتين أكثر من دوره في الأخرى فللكثير العدد نهاية وغاية، لأنها لم تكثر إلا بعد قلتها، وللقليل نهاية وغاية.

فإن قلت: إن حركته في المنزلتين بالسوية، فهي شفع، وللشفع نهاية وغاية، لأن الحركة في موضعين تدل على التناهي، وكذلك القول في أفولها وطلوعها أنه يدل على حدث الحركة وبدئها، لأن الحركة لا تكون إلا من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق، وقد مضى من ذلك ما لا يحصى، وكان بعد حدوثه عدماً، وما صح عدم جميعه قبل حدوثه فله نهاية وغاية، لأن الطلوع والأفول حادثان وهما بعد حدوثهما منصرمان، وكل ما مضى منهما فهو عدم، وللكل نهاية تحيل القدم.

وإذا صح حدث الفلك فلا يخلو من أحد ثلاثة أوجه: إما أن يكون أحدث نفسه، وإما أن يكون حدث ولا محدث له، وإما أن يكون أحدثه محدث أبان صنعه من تركيبه وبنيته، وهو الله الذي صنع وافتطر، وأحكم ودبر.

فإن قال: وما أنكرت من تدبيره لنفسه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنه لا يخلو في حال تدبيره لنفسه من أحد وجهين: إما أن يكون دبر لنفسه وخلقها في حال الوجود، وإما أن يكون ذلك في حال العدم.

فإن كان في حال العدم، فمحال تدبير العدم، لأن الفاعل لا يكون إلا موجوداً في حال فعله، والعدم ليس بشيء موجود فيفعل، وإن كان خلقها في حال الوجود فهذا وجه

يستحيل، لأنها إذا كانت موجودة استحال قولك خلقها إذ كان وجوده سابقاً لفعله، وأيضاً فإن المخلوق لا يفعل إلا حركة أو سكوناً وما أشبههما من الأعراض.

فإن قال: **فما أنكرت من أن يكون حدث ولا محدث له؟**

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأن قولك حدث يوجب أن له محدثاً، ثم نقضت قولك بقولك لا محدث له فأقررت بالحدث ثم نفيته، لأن الحادث لا بد له من محدث أحدثه، كما لا بد لكل فعل من فاعل، ولا بد لكل بناء من بان، ولكل كتاب من كاتب، ولا بد لكل صوت من مصوت، ولا بد لكل أثر من مؤثر، ومحال أن يكون أثر من غير مؤثر، وصوت من غير مصوت.

ودليل آخر: أنه لو كان محدث بلا محدِث لم يكن بالوجود أولى منه بالعدم، و لم يكن بالحدوث أولى منه بالقدم.

ودليل آخر: أنه لو كان كما زعمت لم يَعدُ من أن يكون حدث لعلة، فهذا محال؛ لأن العلل ليست بحكيمة مدبرة، ولا بحية مقدرة، كما قد ذكرنا في أول الكتاب، وكذلك أيضاً فقد ذكرنا ذلك في كتاب التناهي والتحديد في بيان صنع الله في العلل وغيرها فلما استحال هذان الوجهان صح الوجه الثالث وهو صنع الله سبحانه، وعز عن كل شأن شأنه.

وذلك أنا نظرنا إلى النجوم والشمس والقمر فإذا هي مسخرات مدبرات مقدرات، فعلمنا أنه لا بد لكل مُسَخَّرٍ كان معدوم التسخير من مُسَخِّر، ولا بد لكل تقدير كان بعد عدمه من مقدر، ولكل مدبر كان بعد عدمه من مدبر، وذلك أنا وجدنا لحركتها غاية تدل على أوليتها ووجدنا فيها تصويراً وإحكاماً يدل على محكمها ومصورها، ووجدنا لها أقداراً تدل على مقدّرها، ووجدناها متفاضلة يدل تفاضلها واختلافها على المفضل فيها بينها، ووجدنا فيها دلائلاً على منافع العباد، وقدوة للخلق في جميع البلاد، وهداية في ظلمات البر والبحر ومصالح لهم في الليل والنهار، فدل ذلك على أنها نعمة، والنعمة لا تكون إلا من الواحد القهار، وجعل فيها من الزينة والأنوار، وأقام بمنفعة ذلك

من المعايش والأبصار.

ودليل آخر: أن مكان هذه النجوم والشمس والقمر ضد لها منافر مفارق ومباين غير موافق ولا موالف، فلما نظرنا التأليف بين الضدين دلنا ذلك على حدثهما جميعاً وعلى أن لها صانعاً ألف بينها بلطفه وقدرته، وتدبيره وإظهاره لحكمته.

فإن قال: وما أنكرت من أن تكون ثبتت بطباع لها من غير عمد يعمدها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأن من طباعها الثقل، لأن أفولها وطلوعها وهويها دليل على كونها[1] وثقلها، والثقيل لا يستقر إلا على معتمد، فإذا لم نر لها عمداً علمنا بيقين أنها ثبتت بلطف مدبرها.

فإن قال: وما أنكرت من أن يكون الهواء يحملها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأن من طبع الهواء الضعف عن أن يحمل حبة الخردل فما دونها فكيف يحمل السماوات والأرض والنجوم والماء وجبال البرد، لأن من طبعها الثقل ومن طبعه الضعف، ألا ترى السحاب ليس بينه وبين الماء والبرد مشاكلة، وكذلك الهواء لا يشاكل الماء، لأن من طبع الهواء الضعف، فلما وجدنا الماء والسحاب مجتمعين علمنا بيقين أن ذلك الاجتماع ليس من فعلهما وأن الجامع بينهما غيرهما، لأن من طبع الهواء الضعف، ومن طبع السحاب الخفة والطيشان والضعف، فلما وجدنا الماء والسحاب مجتمعين علمنا بيقين أن ذلك الاجتماع ليس من فعلهما، وأن الجامع بينهما غيرهما، لأن من شأن السحاب الخفيف أن يعلو صعداً ، ومن شأن الماء أن ينحدر سفلاً، فيجب على هذه الطبائع ألا تجتمعا طرفة عين، فأي عجب من اجتماع هذه الأضداد التي من شأنها الافتراق، وليس من طبعها الاجتماع والإلتزاق.

ودليل آخر: أن الهواء لو كان يعمد النجوم لما أسلمها إلى الأفول والطلوع، ولو جاز

---

[1]- في (ب): قوتها.

ذلك في أقل قليل إسلامه لها من حين إلى حين لما كان أي الخبرين أولى بإسلامها من الآخر، لأن الهواء لو كان يعمدها عند طلوعها لوجب أن يعمدها أيضاً عند أفولها، ولو كان الهواء هو الذي يسقطها عند غروبها لأسقطها في وسطه قبل مغيبها، فلما وجدناها لا تسقط عند طلوعها علمنا أن لها مسخراً أطلعها، فلما استقلت في وسط الجو و لم يسلمها إلى الهبوط علمنا أن غيره أمسكها لأنه يضعف.

باب الرد على الثنوية عبدة النور والظلمة

قال[1] **المهدي لدين الله** الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى قول الثنوية فقال: وما أنكرتم من أن تكون هذه الأشياء أحدثها اثنان سميعان بصيران عالمان، فالنور يخلق كل خير، والظلمة تخلق كل شر ومكروه وضير، وليس ذلك باختيار ولكن ذلك بطباع أزلية؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك من وجوه شتى:

أولها: أنك لا تخلو في قولك هذا من أحد وجهين: إما أن تكون قلته تظنناً وتوهماً، وإما أن تكون قلته بدرك ويقين.

فإن قلت: إنك أدركتهما رأي العين يخلقان أحلت.

وإن قلت: بل ظننت وتوهمت فقد قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾ [يونس:٣٦].

وإن قال -وهو قائل لا شك-: حجتي على ذلك أني نظرت في العالم خيراً وشراً فقضيت على أن الخير والشر من أصلين أحدهما فاعل خير، والآخر فاعل شر، ولا يمكن أن يأتي بالخير من يأتي بالشر، ولا يمكن أن يأتي بالشر من يأتي بالخير؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: قولك هذا تظنين وتوهم، ويستحيل من وجوه شتى:

---

[1]- في (ب): قال مولانا الإمام أمير المؤمنين المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -صلوات الله عليهما-.

أولها: أنا وجدنا فاعل الخير والشر واحداً، ولو كان كما توهمت لما أحسن محسن، ولا اعتذر مذنب، ولا تاب مخطئ؛ إذ زعمت أنه لا يأتي بالخير مسيء أبداً.

ودليل آخر: أن الخلق تام متقن محكم وفيه إبانة صنع محدثه، ومحال أن تكون الحكمة من علة من العلل الطبيعية.

ودليل آخر: إما أن تكون عند تمازجهما أحدثا الخلق بإرادة منهما، وإما أن تكون حدث بطباع تمازجهما.

فإن قلت: إن الخلق حدث بإرادتهما أحلت ؛ لأنك وصفتهما بصفات تدل على حدثهما، وذلك أنك زعمت أن لكل واحد منهما خمس حواس مختلفات، ولا بد لما اختلف من الأشياء من صانع خالف بين أجناسه لإظهار حكمته، فكل واحدة تصلح لخلاف ما تصلح له الأخرى، لفاقته إلى ما جعل له صانعه، وإذا كان في الشيء من الأشياء ما يدل على حدثه بطل قدمه، وإذا بطل قدمه لم يكن الفعل أولى من غيره ، ولزمه إذ ذلك ما يلزم مثله من العجز عن أن يصنع.

وإن قلت: إن الخلق حدث بطباع تمازجهما أحلت، لأن المصنوع المطبوع لا تعدوه طبيعته، والاجتماع فهو عرض لا يتعداهما إلى غيرهما، كما أن افتراقهما لا يوجب حكمة في منواهما.

ودليل آخر: أنهما إذا كانا من التصوير على ما ذكرت، وفي تمام الحواس على ما وصفت، فقد يجب شكر المنعم بكمال أدواتهما، والمتفضل بتمام جوارحهما، إذ جعل لهما حواساً خمساً، عياناً وسمعاً وذوقاً وشماً ولمساً، وخالف بين علمهما وحواسهما، وغاير بين صفات أجناسهما.

ودليل آخر: يقال لهم: ما العلة التي أوجبت تمازجهما بعد مباينة كل واحد لضده، إذ زعمتم أنهما تمازجا بعد مباينة كل واحد لصاحبه؟

فإن قلتم: إن الظلمة بغت على النور أوجبتم حدث حركة لاقت بينهما، وإذا حدث بينهما حادث فهما على حالين محدثين وهما الحركة والسكون، وما كان من الأشياء

متحركاً أو ساكناً فهو مضطر إلى الحركة والسكون، والمضطر لا بد له من صانع اضطره إلى الحوادث وبناه عليها.

ودليل آخر: قالوا إنهما تمازج بعضهما، ولا نهاية لما بقي منهما، وإذا كان لهما بعض تمازج لحركتهما، فالذي بقي منهما لا يخلو من أن يكون ساكناً كله فينتظمه السكون ويتعلق بجميعه، أو يكون غير ساكن ولا متحرك فيكون عدماً.

ودليل آخر: لا يخلوان[1] من أن يكونا ميتين أو حيين ؛ فإن كانا ميتين فقد لابسهما الموت وحواهما، وإن كانا حيين فقد حوتهما الأرواح وناهتهما.

ودليل آخر: لا يخلو كل واحد منهما من أن يكون مجتمعاً أو مفترقاً، والافتراق يوجب التفصيل، والاجتماع يوجب التوصيل، والتوصيل والتفصيل لا يكونان إلا من صانع موصّل مفصّل.

ودليل آخر: قال بعضهم: إنهما جنسان فالنور بياض كله، والظلمة سواد كلها، وللكل نهاية وغاية، لأن البياض قد لبس النور كله ولا بد لكل لباس من ملبِّس، وكذلك القول في السواد أنه قد لبس الظلمة كلها، وللكل نهاية وغاية، وإذا حواهما لباسهما فقد حدهما وتضمنهما، والسواد والبياض فهما عرضان صفتان لغيرهما، والخالق ليس بعرض ولا جسم، لأن الجسم فيه إبانة صنع صانعه، والعرض صفة له، لا إحسان لها ولا إساءة، ولا قوة له ولا عقل، ولا حياة ولا فعل من الأفعال؛ فكفى لعمري بشيء هذه صفته عجزاً وضعفاً.

ودليل آخر: أن البياض والسواد لا بد لهما من صانع خالف بين أجناسهما، لأن القديم لا يخالف القديم، والمحدثات أضداد لا بد لها من مضادّ ضاد بينها بقدرته لنعلم ألا ضد له.

باب الرد على المتجاهلة

---

[1]- في (ب) ساقط.

قال[1] **الحسين بن القاسم** -عليهما السلام-: فإن رجع إلى قول المتجاهلة فقال: وما أنكرت من أن تكون هذه الأشياء لا يصح علم أحد بها، لأن النائم لا يصح منامه إذا استيقظ، والظل في الماء والمرآة لا يصح إذا طلب، فلعل هذه الأشياء التي تذكرون ستبطل كما بطل غيرها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأن ما بطل من الأشياء إنما بطل لعلة، وذلك أنه لا حقيقة لعلل النائم، وإنما صح عنده الباطل في حال تغير عقله، وبطل عنده الباطل في حال صحة عقله حين استيقظ، مثل رجل رأى في منامه أنه مقطوع اليد ثم انتبه من منامه فلم يجد لما رأى حقيقة، وذلك أنه إنما رأى ذلك بلا حقيقة فبطل عنده حين عقل، ولو أنه رأى ذلك في اليقظة في صحة من عقله لما بطل ذلك عنده.

ألا ترى أنه لو رأى في منامه أنه قتل وصلب بطل ذلك عند يقظته، ولو [رأى] أنه قتل في حال صحة عقله ويقظته لما بطل ذلك عنده إلى يوم القيامة؛ فنعوذ بالله من الكفر بعد الإيمان، ونسأل الله التثبيت على الهدى والبرهان، ولا حول ولا قوة إلا بالله ذي العزة والسلطان.

فإن قال: فما الدليل على حقائق الأشياء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: وجودها مبرأة من عوارض العلل التي تعرض دون دركها.

فإن قال: فما العوارض التي تمنع من درك الحقائق؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: من ذلك النوم، وزوال العقل ، وتغير الحواس.

فإن قال: فما حقيقة الجسم؟

قيل له: وجوده بذاته مرئياً مدركاً تحويه الجهات الست الفوق والتحت واليمين والشمال والخلف والأمام.

---

[1]- في (ب): قال مولانا الإمام أمير المؤمنين الحسين بن القاسم -صلوات الله عليهما-.

فإن قال: وما حقيقة العرض؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: وجوده بحيث أحله الله من الأجسام.

فإن قال: فما حقيقة الحس؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: دركه الحاسة للمحسوس.

فإن قال: فما حقيقة الحركة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: وجود العضو المتحرك زائل عن اللبث.

فإن قال: فما حقيقة السكون؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: وجود العضو الساكن لابث غير زائل.

فإن قال: فما الدليل على أن الحركة غير المتحرك؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: وجود العضو على غير الحركة ساكناً، ثم ترى الحركة فتعلم أن الحركة شيء لم تَرَهُ ثم رأيته ولو كانت الحركة هي العضو المتحرك لرأيت الحركة في حال السكون، فلما رأيت العضو ساكناً ولم تر الحركة ثم رأيتها، علمت أن الذي لم تكن رأيته غير الذي كنت رأيت، فقس وافهم إن شاء الله.

باب الرد على من جحد النبوة

قال الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن قال: وما أنكرتم من أن يكون لنا خالق على ما وصفتم و لم يرسل رسولاً؟

قلنا بحمد لله ردٌ على هؤلاء سنذكره: وذلك أنهم جحدوا الرسل واعتلُّوا في ذلك بأن الله سبحانه حكيم، والحكيم إذا علم أنك لا تجبه فلا يرسل إليك إلا وهو عاتب.

فيقال لهم: ليس الأمر كما توهمتم، ولكن إذا علم الحكيم أنه قد أعطاك قوة تفعل بها ما أمرك بفعله وتترك ما أمرك بتركه، ثم أرسل إليك فلا يرسل إليك إلا وهو يعلم أن لك قوة إلى فعل ما أمرك بفعله ، وترك ما أمرك بتركه.

ويقال لهم: أعلم الله مانع له من إرسال الرسل؟ أم علمه مانع لكم من طاعته؟

فإن قالوا: إن علمه منعه؛ جعلوه ممنوعاً، مضطراً مدفوعاً، وجعلوا العلم شيئاً مانعاً،

ولحجته دافعاً، فسبحان الله عما يشركون، وإنما علمه ذاته.

وإن قالوا: إن علم الله مانع لهم من طاعته، فقد أحالوا في قولهم، لأن العلم هو الله، والله حكيم، والحكيم لا يمنع المطيعين من طاعته.

ودليل آخر: أن الحكيم إذا علم أنه يعصى لم يمنعه ذلك من الرسالة إلى من عصاه لتكون الحجة له عليهم، ولتكون دعوته ورسالته أقطع لعللهم، وأدحض لحججهم.

ودليل آخر: أن الحكيم إذا علم بمعصية أعدائه لم يمنعه علمه بمعصيتهم من الرسالة إلى أوليائه.

باب التوحيد ونفي التشبيه

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى قول أصحاب الاثنين فقال: وما أنكرتم من كون خالقين قديمين بالصفات التي وصفتم بها الواحد القديم وهو الله الرحمن الرحيم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لتضاد الاثنين.

فإن قال: وما أنكرتم من اتفاقهما؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لو اتفقا [لم تعدو صفاتهما] في العلم والجهل والقدرة والعجز، فإن كان كل واحد منهما يقدر على إخفاء فعله وخلقه في سماواته وأرضه عن صاحبه، خرجا جميعاً من العلم وصارا جميعاً إلى الجهل، إذ كان كل واحد منهما جاهلاً بما يخفي عنه صاحبه من الفعل.

وإن كانا لا يقدران على إخفاء كل واحد فعلاً يفعله خرجا من صفات القدرة إلى العجز؛ إذ كان كل منهما لا يقدر أن يخفي فعله عن الآخر، وإذا كانا عاجزين جاهلين صح أنهما مخلوقان.

وإذا كان أحدهما يقدر على إخفاء فعله، والآخر لا يقدر ثبتت الربوبية للعالم القادر، والمربوب هو العاجز الجاهل لعجزه عن قدرة خالقه إذ لا بد للعاجز من معجز أعجزه ومنعه.

ودليل آخر: أنهما إذا كانا اثنين لم يخلو من أحد ثلاثة أوجه: إما أن يكونا حكيمين، وإما أن يكونا سفيهين، وإما أن يكون أحدهما سفيهاً والآخر حكيماً.

فإن كانا حكيمين [وجب عليهما أن يمنعا أنفسهما ولا يجهلا حكمتها] .

وإن كانا سفيهين فهما غير قديمين، لأن السفه والعبث إنما تولد من الهوى، والقديم لا يعبث ولا يهوى؛ لأن الهوى بنية ضرورية جعلت للبلوى.

وإن كان أحدهما حكيماً والآخر سفيهاً فالربوبية للحكيم الذي بين حكمته، والسفيه مربوب مخلوق عاجز، والله أعجزه وابتلاه، وركبه على الشهوات وبناه.

باب الرد على الفضائية

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى قول الفضائية فقال: فإذا أوضحت لي أنه واحد فما أنكرت من أن يكون الفضاء الهواء المكان الذي فيه الأشياء قديماً؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك من وجوه شتى: أحدها: أن الفضاء جسم ضعيف، والخالق لا يكون جسماً ، ولو كان جسماً لما قدر على خلق جسم ، والخالق أيضاً لا يكون ضعيفاً لأن الضعيف مخلوق.

ودليل آخر: أن الفضاء مجتمع موصل ، ولا بدل لكل مجتمع من جامع ، ولا بد لكل توصيل من موصل ، والله موصله وجامعه ، ومبتدعه وصانعه.

وأيضاً فإنه محدود ، ولا بد لكل محدود من محدد قطع حدوده وناهاه ، وأوضح نهايته وغاياه.

ودليل آخر: أن الهواء أموات ولا بد من مميته ومجمّده ، ومضعفه ومحدده.

ومن هؤلاء الفضائية من يقر بالقرآن[1] والله يقول عز وجل من قائل: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ**

---

[1]- في (ب): بالكتاب.

بشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والهواء يدرك ويحاط بعلمه ويقول سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، والهواء فهو المسافة المدركة بين السماء والأرض.

ودليل آخر: أن الهواء ساكن وربما تحرك، فهو مضطر إلى الحركة والسكون، ولا بد له من صانع اضطره إليهما، وبناه بناء عليهما.

ودليل آخر: أن كل ما لا ينفك من الحركة والسكون فهو محدث، لأنهما محدثان يكثران ويقلان ؛ لأن الهواء قد طال مقامه فيما مضى من الأزمان ، والأزمان محدثة بأبين البيان ، لأن ما مضى منها فلم يعدم إلا بعد حدوثه ساعة بعد ساعة، وتلك الساعات فقد عدم جميعها بعد حدوثها كلها ، وللكل نهاية وغاية ، وهو لم ينفك منهما ، و لم يكن قبلهما ، وإذا لم يكن قبلهما فهو في الحدوث مثلهما. نسأل الله المغفرة والهدى ، ونعوذ به من الحيرة والردى.

باب المعرفة

فإن قال: فما الدليل على معرفة الخالق وأين هو؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على معرفته ما أظهر من الصنع المتقن، وأقرب الأدلة إلى الإنسان نفسه، لأنا رأينا كل جارحة من جوارحه، لم تجعل إلا لمصلحة من مصالحه، فعلمنا أن الإصلاح لا يكون إلا من صانع عالم ؛ لأنه لو كان جاهلاً لما اهتدى إلى الإصلاح.

وأما قولك: أين هو؛ فإن أين مكان وربنا ليس في مكان، لأنه خالق المكان، وهو كان ولا مكان.

فإن قال: فكيف هو؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لا كيف له؛ لأن كيف صفة من صفات خلقه يحتمل أوصاف الأجسام ، والله ليس بمكيّف مصنوع فيوصف بصفات المطيعين.

فإن قال: ففي أي الجهات هو أفوق كل شيء، أم تحت كل شيء، أم هو محيط بكل شيء، أم هو في كل شيء، أم هو مع كل شيء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: مسألتك تحتمل ثلاثة أوجه: إما أن تكون عنيت ذاته، وإما أن تكون عنيت علمه، وإما أن تكون عنيت قدرته؟

فإن قلت: عنيت بقولك قدرته فهو لعمري فوق كل شيء قاهر ، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:١٨].

وإن كنت عنيت بفوق وتحت ومحيط وفي ومع تريد علمه؛ فهو لعمري كذلك محيط بكل شيء وفي كل شيء لا يخلو منه شيء، ومع كل شيء لا يخفى عليه شيء.

وإن كنت عنيت ذاته؛ فمحال أن يكون محاداً للعالم فيكون مجزأً مبعّضاً ؛ لأنه إذا كان فوق العالم فالذي يحاد العالم منه أسفل، وإذا كان تحت العالم فإن تحت العالم الذي يحاد العالم منه أعلا، وإذا كان محيطاً فالعالم منه في كل أو بعض ، والكل والبعض من أوصاف المخلوقين، وكذلك إذا كان في العالم كان العالم له محلاً ومسكناً وملجأ ومعقلاً، وكان مكانه أكبر منه وكان محدوداً، والمحدود لا بد له من محدد ؛ لأنه إذا أحاط به المكان فله غاية ومنقطع ، وما كان له منقطع فله قاطع ؛ لأن المقطوع مفروغ منه ، والفراغ من فعل المحدد القاطع للحدود المناهي، وهو الله محدد الأجسام وقاطعها ومفتطرها وصانعها، ومفرقها وجامعها، وهذه صفات المخلوقين الموهمين، ذوي الأماكن المدبرين، وربنا بخلاف خلقه لأنه لا يقع عليه الفكر ولا يخطر على بال؛ لأنه ليس في مكان، ولا بينه وبين خلقه مكان، لأن المكان لو كان بينه وبينهم لم يخل ذلك المكان من أن يُقرِّبَهُ، فيكون قريباً منهم ، أو بعيداً فيبعده عنهم، ولو كان قريباً بذاته منهم لكان مقرباً لا بد له من مُقَرِّبٍ قَرَّبَهُ، ولو كان بعيداً بذاته عنهم لكان مبعداً لا بد له من مبعد أبعده.

ودليل آخر: أنه لو كان بينه وبين خلقه مسافة، لم تخل تلك المسافة من أن تكون قاربت كله أو بعضه، وللكل والبعض نهاية وغاية، والله سبحانه ليس بذي كل ولا بعض، ولا طول ولا عرض، ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا خلف ولا أمام ولا لون ولا طعم، ولا رائحة ولا محسة ، ولا افتراق ولا اجتماع ولا حركة ولا سكون؛ لأن هذه الصفات لا تكون إلا في الأجسام التي ذكرنا، والله خالقها وجاعلها.

باب الرد على من أنكر قول آل محمد (ص) في أن الله شيء لا كالأشياء

قال الحسين بن القاسم -عليهما السلام-: فإن قال: لم زعمت أن الله شيء و لم تقل مشيء الشيء، وقد علمت أنا لم نجد شيئاً إلا جسماً، فهل نفيت عن ربك صفات الأجسام؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن قولنا شيء إثبات موجود ونفي معدوم.

وقولنا: لا كالأشياء نفيه التشبيه وذلك قول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ [الأنعام:١٩]، فسمى نفسه شيئاً، ثم قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، فحكينا من قوله ما قال، ونسبنا إليه سبحانه ما نسب إلى نفسه، ونفينا عنه ما نفى عن نفسه من شبه خلقه.

[مسائل في الصفات الذاتية]

مسألة: فإن قال: أهو عالم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم هو سبحانه عالم.

فإن قال: أعلمه هو أم علمه غيره؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أن علمه وقدرته صفتان من صفات ذاته، هما الذات والذات هما ، وهو العالم بنفسه ، القادر بنفسه، الحي بنفسه ، لا بحياةٍ سواه، ولا علم ولا قدرة غيره.

مسألة: فإن قال: ربكم مريد؟

قيل له: نعم.

فإن قال: وما إرادته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: فعله للشيء فقط[1].

---

[1] - الإرادة والكراهة والمحبة والرضا والسخط والغضب كل ذلك من صفات أفعال الله جل جلاله، ولا يصح أن نقول إنها من صفات الذات لما يلزم من مشابهة الله تعالى للمخلوق المحدث

=

مسألة: فإن قال: ربكم يقدر أن يريد أو يريد أن يقدر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذه مسألة مغالطة، منها ما يصح ومنها ما يفسد.

فأما الصحيح فقولك يقدر أن يريد لأن الإرادة فعله، وهو لعمري قادر على الأفعال.

وأما الفاسد المحال فقولك يريد أن يقدر فكأنك قلت: يفعل القدرة وهو لم يزل قادراً، فجعلت القدرة من المفعولات، ففسد القول واستحال.

مسألة: فإن قال: ربكم يعلم أن يقدر أو يقدر أن يعلم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: ربنا يعلم أنه يقدر، وأما قولك يقدر أن يعلم ففاسد محال؛ لأن القدرة لا تقع إلا على المقدورات، وليس علم الله بمقدور فتقع عليه القدرة.

مسألة: فإن قال: ما دليلك على أن الله حي؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنا نظرنا إلى الخلق فإذا هو متصل تام محكم متقن، فعلمنا أنه

الضعيف .

وذلك أن المعروف أن هذه الصفات أعراض يجدها البشر في نفوسهم تأتي وتذهب لذلك امتنع أن نصف الله تعالى بها على ما نعرف من معناها في البشر .

وإذا أردت أن تعرف صحة كلام الإمام -عَلَيْه السَّلام- في هذا الباب فاعلم أن لكل من هذه الصفات مبدأً وغاية ؛ فمبدأ الإرادة ميل النفس إلى الفعل ورغبتها في حصوله وإعداد النفس للفعل ثم يحصل الفعل بعد ذلك ، وحصول الفعل هو الغاية ومبدأ الغضب فوران الدم وانتفاخ الأوداج واحمرار العينين وغايته فعل الانتقام ، وهكذا سائر الصفات المذكورة ؛ فإذا أطلقت على الله سبحانه وتعالى فالمراد بها الغايات لا المبادئ لأن الله تعالى ليس له دم يفور ولا أوداج تنتفخ ولا عينان تحمرّان وليس له قلب يهتش ويعقد العزم ولا ....إلخ .

لذلك وجب أن نقول : غضب الله تعالى وسخطه هو إلحاق الذم والعقاب بمن سخط وغضب عليه، ومحبته ورضاه فعل المدح والثواب لمن أحبّه ورضي عنه ، وإرادته هي فعله وخلقه ، ولا يجوز تفسير شيء من ذلك بالمبادئ لما يلزم من مشابهة الله لمخلوقاته المحدثة. فتأمل ذلك. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

صُنْع حكيم حي؛ لأن الميت لا يقي نفسه فضلاً عن غيره، ومحال تدبير من هو ميت، والحكيم لا يكون إلا حياً والميت لا علم له ولا قدرة ولا إرادة ولا حكمة.

مسألة: فإن قال: فما دليلك على أنه قادر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أبين الأدلة وأوضحها، وذلك لأن العاجز لا يقدر على فعل شيء أصلاً، تعالى الله عن ذلك علواً كثيراً.

مسألة: فإن قال: فما دليلك على أنه عالم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لولا أنه عالم لما اهتدى إلى خلق الأشياء من غير شيء، بل لعلمه بها قبل تكوينه لها خلقها وفطرها واخترعها بغير مثال احتذى عليه، وكيف لا يعلم المبتدع ما ابتدع، والحكيم الصانع ما صنع؟!

مسألة: فإن قال له حد أو نهاية أو أمد أو غاية؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: تعالى الله خالقنا عن أن يكون له حد أو نهاية، أو أمد أو غاية، لأن كل محدود لا بد له من محدد أحاط به، وكل ذي عدد لا بد له من معدد، وربنا ليس بذي حد به يحد، ولا بذي أجزاء تعد.

مسألة: فإن قال: فهل يدرك بحس أو نفس؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذا محال لا يجوز على الله؛ لأن النفس لا تدرك إلا جسماً أو عَرَضاً، وكذلك درك الحس أيضاً، والجسم والعرض محدثان ومدبران بعد العدم مصنوعان.

باب الحقائق

فإن قال: فما حقيقته في ذاته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: مسألتك تحتمل وجهين: إما أن تكون أردت حقيقة ذاته، وإما أن تكون أردت الدلالة على وجوده؛ فإن كنت أردت ذاته فحقيقته ذاته، وذاته حقيقته.

وإن كنت أردت الدلالة على حقيقته وصفته.

فالجواب في ذلك : أن وجود خلقه وصنعه يدل على أنه شيء حق، وليس عندنا من الجواب في المسألة إلا ما ذكرت لك، إذ كل شيء موجود مدرك محسوس يعرف حقيقته بذاته، والله لا يعرف إلا بما أظهر من حكمته، وحقيقته قدمه، وهو حقيقة ذاته، وكذلك غير القدم من صفاته كعلمه وقدرته وحياته.

مسألة: فإن قال: فما هو؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: مسألتك تحتمل ثلاثة أوجه: إما أن تكون سألت عن اسمه، وإما أن تكون سألت عن صفته، وإما أن تكون سألت عن ذاته.

فإن كنت سألت عن اسمه فهو: الله الرحمن الرحيم، وإن كنت سألت عن صفته فهو الواحد القديم القدير العليم، وإن كنت سألت عن ذاته فهو الذي ليس كمثله شيء.

مسألة عن الإرادة: وإن قال: لم يزل الله مريداً أم إرادته حدثت و لم تكن أزلية؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن إرادة الله سبحانه هي فعله، وأما إرادته لطاعة عباده فهي أمره لهم فقط، وكذلك سخطه لمعصيتهم فهو نهيه لهم، والله سبحانه لم يزل عالماً بجميع فعله، عالماً بجميع ما سيريد تكوينه، وإنما الذي يريد بلا علم تقدم ويضمر بغير تكوين هو الإنسان الجاهل ، الجائل الفكر الذي تحدث له النية بعد الضمير[1] والإرادة، بإضمار القلب والطوية، ولو كانت إرادته قبل فعله لكانت إرادته كإرادة المخلوقين ولكانت عرضاً من جسم، ولو كان جسماً لأشبه الأجسام، وإنما إرادته فعله وفعله مراده[2]، وليس ثم إرادة غير المراد، فيكون مشابهاً للعباد.

ومحبة الله هي رضاه، ورضاه محبته، ومحبته ثوابه، وبغضه غضبه، وغضبه عقابه، وكراهته نهيه لا غير ذلك، وهذه صفات تكون لله فعلاً، وتكون للمخلوقين بخلاف ما هي لله أعراض علل في المعلولات، لأن إرادة المخلوقين اهتشاش قلوبهم، ومحبة نفوسهم

---

(١)- في (ب) ناقص.

(٢)- في (ب): إرادته.

قبل فعلهم وكراهتهم، ومحبتهم وكراهتهم مختلجان في صدورهم، وحاش لله أن يوصف بصفات خلقه، والشهوة والكراهة بنيتان ضروريتان، وحاش لله أن يكون مضطراً إلى شيء أو مبنياً عليه.

مسألة: فإن قال: فما دعاه إلى أن يخلق؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا فاسد محال لا يجوز على الله سبحانه ؛ لأنه لم يزل عالماً بلا داع خطر، لأن الخاطر الداعي من صفات الجهال المخلوقين الذين يَذْكُرُون بعد النسيان، والناسي لا بد له من مانع منعه، وهو الله الذي فطره على الضعف وصنعه.

مسألة: فإن قال: فأيهما أكثر ، إقامته قبل أن يخلق الخلق ، أم إقامته بعد أن خلق؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذه مسألة محال، لا يصح[1] بها اعتقاد ولا مقال، لأن الإقامة من صفات المخلوقين، وليست من صفات رب العالمين، والإقامة فإنما هي الحركات والسكون.

مسألة: فإن قال: أخبرني عن الله لِمَ لَمْ يخلق خلقه قبل أن يخلقهم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذه مسألة تستحيل، ولا تثبت عند أحد من أهل العقول، لأنك قلت يخلق الخلق قبل أن يخلقه فأوجبت أن قبل الخلق زماناً متقدماً، والله خالق الزمان والمكان والحيز والأوان، وهو الأول الذي لا قبل لأوليته، ولا كيف لأزليته، كان في حال القدم قبل بريته ولا عقل ولا معقول سواه ، ولم يكن معه أزمنة ولا شهور ولا ساعات ولا أمكنة ولا أوقات ، ولا علم ولا معلوم ، ولا فهم ولا مفهوم ، ولا وهم ولا موهوم.

مسألة: فإن قال: خلق الله بعلة أو بقصد وإرادة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إن العلة لازمة بغير إرادة المعلول ، وما كان بغير إرادته فلم

---

[1] في (ب): لا تصح باعتقاد ولا مقال.

يقصده ، وما كان غير مقصود فلم يعمده ، وما كان غير متعمد لم يخل من أن يكون قديماً أو محدثاً؛ فإن كان محدثاً فالمحدِث له لا يخلو من أن يكون عنه جاهلاً مضطراً إلى الجهل، أو رباً عالماً بالفعل.

فإن كان هذا الصنع من علة بغير قصد ولا مشيئة فهذا محال، لأن العلة لا توجب حكمة بالغة ولا نعمة سابغة، لأن العلة ضرورة بني[1] عليها المعلول، وليست توجب حكمة عند أهل العقول، وما كان مضطراً فهو ممنوع من الاختيار، وما كان ممنوعاً ملجأً إلى الاضطرار فصانعه بخلافه في جميع الأمور، بفضل الفاطر على المفطور، وأن هذا الصنع من رب عالم، صنعه بعلمه واختياره، وأوجبه بقوته واقتداره، وجاد على البرية بإظهاره، غير مضطر إليه، ولا مكره بالعلل عليه، فذلك مجري العلل في المعلولات، وصانع جميع المصنوعات، وفاطر الأرض والسماوات.

مسألة: فإن قال: فهل لإرادة الله نهاية؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن الإرادة هي الفعل، وللفعل نهاية وغاية، والفرق بين إرادة الله وإرادة خلقه أن إرادة المخلوقين خواطر، وإرادة الله سبحانه أجسام موجودة بصفاتها، وبدائع تعرف بحياتها.

مسألة: فإن قال: ما الفرق بين فعل الله وفعل خلقه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الفرق بين ذلك أن فعل الله ابتداع واختراع، وفعل العباد حركات وسكون واعتقاد، وأفعال العباد بآلاتهم وهي أعراض متعلقة بأجسامهم، وأفعال الله متعلقة بذاته.

مسألة: فإن قال: أخبرني كيف خلق الله الخلق؟

قيل له ولا قوة إلا بالله:هذه المسألة تشتمل على وجوه كثيرة فمن ذلك أن يكون

---

(١)- في (ب): مما ليس يوجد.

السائل أراد بقوله كيف خلق؟ أي كيف أسعده الخلق وتهيأ له ، ومن ذلك أن يكون أراد بقوله هل خلقه بحيلة أو علة.

فإن أراد أنه خلق الخلق بحيلة ، فهذا محال لا يجوز عليه ، ولا ينسبه عالم إليه، وإن أراد بذلك أنه خلق بعلة ، فهذا محال ؛ لأن العلة لا تخلو من صفات المحدثات ، والمحدثات لا تخلق أمثالها، ولا توجب أشكالها ، لأن المحدثات هي الأجسام والأعراض ، والجسم لا يخلق جسماً ولا يوجد لحماً ولا دماً.

وإن أراد بقوله: كيف خلق ؟ يريد بذلك أي كيف تهيأ له الخلق ، فالجواب في ذلك: أن الخلق تهيأ له بالقدرة التي لا كيف لها.

مسألة: فإن قال: أخبرني أَعِلمُ الله كثير أم قليل؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إن كنت أردت علمه الذي نزّل على أنبيائه ورسله فهو كثير، وإن أردت علمه الذي هو ذاته فليس يوصف بالكثرة فيكون عدداً، ولا يوصف بالقلة والنقص أبداً، لأن العدد الكثير يدل على التغاير والأبعاض، وذلك فلا يوجد إلا في الأجسام والأعراض، وكذلك العدد القليل فهو منقوص ، والمنقوص بالعلة مخصوص.

فإن قال: أمعلوم الله كثير أم قليل؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: معلوم الله كل دقيق وجليل، وصغير وكبير، وممكن ومستحيل، ومعلومه ما قد كان وما سيكون ، وما لو كان كيف يكون، وما لا يكون أنه لا يكون.

مسألة: فإن قال: هل يحصى تقدم الله قبل خلقه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذا محال لا يجوز على الله سبحانه؛ لأن تقدم الله هو قدمه وقدمه ذاته ، وذاته لا توصف بقلة ولا كثرة ، ولا عدد ولا أمد ولا حد، وقدم الله لا يفهم ولا يدرك ولا يعلم.

مسألة: فإن قال: لم ذكّر الله اسمه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إن تذكير الاسم أولى من تأنيثه ، وإنما الأصل في تذكير الاسم

أن الشيء هو الموجود ، والموجود مذكّر أبداً ، وإنما جعل التأنيث للمعنى.

مسألة: فإن قال: خَلَقَ الله الخلق من شيء أو لا من شيء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن الله عز وجل خلق الخلق من غير شيء؛ لأن القديم لا يتغير ولا يزيد ، ولا ينقص ولا يعدم بعد وجود ، كما لا يوجد بعد عدم ؛ لأنه إن تغير لم يخل من أن يكون تغير كله أو بعضه ، والكل والبعض لا يكون إلا متحركاً أو ساكناً ، والحركة والسكون محدثان ، وكذلك لا يفنى إلا الكل أو البعض ، والكل والبعض متناهيان مقطوعان ، ومحدثان بعد العدم مصنوعان ، لأن الكل محدود ، والتبعيض عدد معدود ، والاجتماع دليل على الجامع، والافتراق دليل على المفرق الصانع، فلو كان أصل الخلق قديماً لم يخل من أن يكون خلق الخلق من كله أو بعضه ، وفي الكل والبعض نفي القدم ، وحدوث العالم بعد العدم بحدوث الكل والبعض والاجتماع والافتراق والحركة والسكون ، فلحدوث الأشياء تفرقت واجتمعت ، ولتدبير مدبرها تصرفت وتنقلت ، فالحمد لله الذي لا ينقص ولا يزيد، ولا يبطل ولا يبيد.

مسألة: فإن قال: لم خلق الله الخلق؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن الله سبحانه خلق الخلق لإظهار حكمته.

مسألة: فإن قال: فلم أظهر الله حكمته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن إظهار الحكمة حسن ، وإظهار الحسن خير من تركه.

مسألة: فإن قال: فلم كلفهم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لإظهار الحسن من فعلهم ؛ لأن الصبر على الكلفة حسن يستوجبون عليه الثواب ، لأن التعبد داع إلى الحكمة ، زاجر عن الجهل ، وكلما دعا إلى الحكمة والرشاد ، وزجر عن الغي والفساد ، ففيه مصلحة لجميع العباد ، مع ما في الصبر على المحن التي امتحن الله بها جميع المكلفين ، من المصلحة لجميع العالمين ، والغبطة بما وعد الله من الثواب ، والسرور بالنجاة من أليم العقاب ، لأن الثواب بعد المحنة أكمل وأعظم للنعمة.

وإنما ابتدأ الله الخلق بدار المحنة ، لإظهار فضلهم ولتعظيم سرورهم بالنجاة بعد خوفهم، وأيضاً فإن طول المحن والتجارب ، أفضل من الغفلة عن العجائب ، لفضل الحكمة والمعرفة على الجهل ، ولما في التجارب من لقاح العقل.

مسألة: فإن قال: فما الدليل على صدق الرسل؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على صدقهم ما أتوا به من المعجزات، مثل إحياء الموتى ، وكلام البهائم والشجر ، والرمي بالعصا فإذا هي حية تسعى ، وفلق البحر ، والسير فيه يبساً.

باب الرد على من جحد نبوة محمد صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء وسلم تسليما

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى قول اليهود فقال: وما أنكرتم من أن تكون النبوة لموسى -عَلَيْه السَّلام- من دون محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنهما نبيان جميعاً لا فرق بينهما.

فإن قال: فبم صحت لك نبوة محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: بمثل ما صحت لك نبوة موسى.

فإن قال: صحت لي نبوة موسى بالمعجزات.

قيل له ولا قوة إلا بالله: وكذلك صحت لنا نبوة محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بالمعجزات.

فإن قال: وما علمكم بصدق الرواة.

قيل له ولا قوة إلا بالله: كعلمك بصدق الرواة، ودلنا أيضاً على صدقهم هذا القرآن الذي أتى به نبينا -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فعجز الخلق أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله وفيه تصديق نبوة موسى وعيسى -صلى الله عليهما وعلى الأنبياء أجمعين-.

فإن قال: وكذلك صحت نبوة موسى بإجماعهم معنا ونحن غير مجمعين معكم.

قيل له ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا فاسد محال ؛ لأن إجماعنا معكم على نبوة موسى

-صلوات الله عليه- طاعة منا لربنا نستحق بها منه ثوابه ، وجحدانكم لنبوة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله- معصية الله تستحقون بها منه عقابه، وكذلك الرد عليه إن كان نصرانياً أو مجوسياً.

باب الرد على من جحد الإمامة بعد النبي (ص)

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى الحق، وأقر بكلمة الصدق، وجحد الإمامة فهو مشرك، لأن الإمامة فرض من الله لا يسع أحد جهلها؛ لأن الحكيم لا يهمل خلقه مع ما بدأ من اختلافهم من الحجة على من عَنَدَ من الحق منهم ، والهداية لمن طلب النجاة من أوليائه ، والبيان لتلبيس أعدائه، وإلا فقد ساوى بين حقهم وباطلهم ، وفي ذلك ما يقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم-: ((من مات لا يعرف إمامه مات ميتةً جاهليةً)) وقول الله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ(٧)**﴾ [الرعد]، فأخبر أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم- منذر للعباد وأن لكل قوم هادٍ إلى الحق في كل زمان ، يوضح لهم ما التبس من الأديان ، ويرد على من دان بغير دين الإسلام ، ويوضح الحجة على جميع الأنام.

فإن قال: من الإمام بعد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم- إذ زعمتم أن الأرض لا تخلو من الحجة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الحجة بعد نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله- أقدر الخلق على القيام بأمور الدين ، وأكمل جميع المسلمين ، و لم نعلم ذلك غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه صلوات رب العالمين- وفيه يقول أخوه رسول الله -عليه أفضل الصلاة والتسليم-: ((علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))، ويقول -صلوات الله عليه-: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واخذل من خذله وانصر من نصره)).

باب الرد على من زعم أن الإمامة بعد النبي (ص) في ذريته وفي غيرهم من الأمة

قال الحسين بن القاسم -صلوات الله عليه-: فإن رجع إلى مذهب أمة نبينا -صَلَّى الله

عَلَيْه وآله- فقال: وما أنكرت أن تكون الإمامة بعد النبي في أهل بيته وفي غيرهم إذ ليس معكم من الروايات شيء إلا ومعنا أكثر منها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الحق يعرف من ثلاثة أوجه وهي: محكم الكتاب والسنة وحجج الألباب.

فأما أصل ذلك في حجج العقول: فإن الحكيم لو جعلها في جميع الناس ، لوقعوا في أعظم الالتباس ، لكثرة دعاوي الفاسقين ، واغتيال الظلمة المنافقين ، ومن هاهنا وجب أن تكون الإمامة في أهل بيت معروفين بالفضل والشرف مخصوصين.

وأما في الكتاب: فقول الله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا(٣٣)**﴾ [الأحزاب]، وقوله سبحانه لنبيه: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى:٢٣]، فافترض مودة ذوي القربى من رسوله.

فيا أيها الأمة الضالة عن سبيل رشدها، الجاهدة في هلاك أنفسها أُمِرْتم بمودة آل النبي، أم فرض عليكم مودة تيم وعدي، ومن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً إلا الذين أمرتم بمودتهم من ذوي القربى من آل نبيكم ، فهذه بحمد الله حجج واضحة منيرة لا تطفى، وشواهد مشهورة لا تخفى ، إلا على مكابر عمي ، أو شيطان غوي ، قد كابر عقله ، ورفض لبه.

وأما السنة: فهي ما أجمع عليه من إمامتهم والباطل ما اختلف فيه من إمامة غيرهم[1].

---

(1) - المقام يحتاج إلى توضيح أكثر مما هنا فنقول :

الدليل على إمامة أهل البيت من بعد النبي -صَلّى الله عَلَيْه وآله وَسَلّم- من وجوه:

١-أن عادة الله وسنته في الأولين من الأنبياء والمرسلين تقضي لهم بذلك فقد اصطفى الله تعالى آل إبراهيم وآل عمران وآل يعقوب على العالمين وجعل فيهم العلم والحكمة وآتاهم ملكاً عظيماً كما جاء ذلك في القرآن .

وقد أكد الرسول -صَلّى الله عَلَيْه وآله وَسَلّم- هذه السنة الإلهية فشرع -صَلّى الله عَلَيْه وآله

=

باب الرد على الإمامية

قال الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى قول الإمامية فقال: وما أنكرت من أن تكون الإمامة لولد الحسين من دون ولد الحسن -صلوات الله عليهما؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنهما في الولادة سواء لا فرق بينهما ، وكذلك لا فرق بين ذريتهما وإلا فما حجتك في رفضهم ، وما عذرك عند الله في إبطال إمامتهم؟

وَسَلَّم- للمسلمين أن يقولوا في صلاتهم : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وذلك من أجل أن لا يميلوا بآل محمد عن سنة آل إبراهيم وما جعله الله تعالى لهم، ولأمرٍ ما جعل الله تعالى ذلك في الصلاة التي تتكرر في اليوم والليلة مرات كثيرة ، ما ذاك إلا من أجل أن تكون تلك السنة على بال المسلمين حاضرة في صدورهم لا يغفلون عنها .

٢-أن سنة البشر عامة أن الذي يستحق خلافة الملك هو أقاربه الأدنون ، مضى على هذه السنة عامة البشر في قديم الدهر وحديثه لا يعرفون غير هذه السنة ، وعلى هذه السنة جرت سنة الله تعالى في أنبيائه ورسله وذراريهم .

٣-جاء في القرآن ما يعزز سنة الله وعادته في أنبيائه ورسله فقال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا(٣٣)**﴾ [الأحزاب]، وقال سبحانه : ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى:٢٣]، ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾ ...الآية [آل عمران:٦١]، إلى غير ذلك من الآيات التي تجعلهم محط أبصار الناس، إليهم يرفعون رؤوسهم ويشيرون بأصابعهم .

٤-ثم جاء في سنة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- ما لا يكاد يحصى من التنويه بأهل بيته ورفع ذكرهم والاهتداء بهديهم والاقتداء بهم ، ولو لم يجي إلا حديث الثقلين المتواتر المعلوم الذي رواه مسلم وغيره والذي جعل فيه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- أهل بيته والقرآن خليفتين له لكفى فإن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- نصّ فيه على أن أهل بيته والقرآن خليفتان له يسدان الفراغ بعد فقده -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- . تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

فإن قال: بإجماعكم معنا على إمامة ولد الحسين ولسنا مجمعين معكم على إمامة ولد الحسن.

قيل له ولا قوة إلا بالله: ليس إجماعنا معكم على الحق بحجة تثبت لكم باطلكم ، ولا رفضكم بحجج الله عز وجل مما يصحح دعواكم ، وإنما إجماعنا معكم على إمامة ولد الحسين طاعة منا لربنا نستحق بها منه الثواب ، وتفريقكم بين آل الرسول معصية تستحقون بها منه العقاب، والله يقول عز من قائل:: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى:٢٣]، فإن كان أولاد الحسن من ذوي القربى فقد افترض مودتهم وإن أخرجتموهم من قرابة النبي فأنتم بالبعد أولى منهم.

وقال سبحانه: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(٤٣)**﴾ [النحل]، والذكر فهو رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله- في هذا الموضع وذلك قول الله سبحانه: ﴿**قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا(١٠) رَسُولًا**﴾ [الطلاق]، فسمى رسوله ذكراً ثم أمر بسؤال أهله ؛ فإن كان ولد الحسن من آل الرسول لزمكم الإقرار بإمامتهم ، وإن كانوا من غير آل الرسول فقد صدقتم في رفضهم وأصبتم في عداوتهم.

ثم أنتم بين أحد وجهين : إما أن تقروا بإمامتهم ، وتتبعوا ما أمركم الله به من سؤالهم، أعني من كان حجة لله منهم إذ لم يستثن إحدى الطائفتين من دون الأخرى وأمركم بسؤالهم أمراً، وإما أن تلجوا في عتوكم ونفوركم ، وتخالفوا أمر ربكم ، وتظهروا خلافكم ، فتثبت حجة الله عليكم[1].

---

[1] - لزيادة التوضيح نقول :

الأدلة المجمع عليها بين طوائف الأمة جاءت عامة لأهل البيت عليهم السلام لم تخص أحد البطنين من الآخر مثل آية التطهير وآية المودة وحديث الثقلين وحديث السفينة وحديث : ((قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد)) وغير ذلك كثير من الأحاديث المشهورة عند طوائف المسلمين.

=

باب الرد على الإمامية في صفة الإمام

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى الحق وأقر بولاة الأمر من آل الرسول -صَلّى اللهُ عَلَيْه وآله- فقال: قد أقررت بأن الإمامة في ولد السبطين فما صفة الإمام الذي تلزم الأمة حجته، وتجب عليهم طاعته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن الإمام الذي تجب طاعته يكون كاملاً في جميع خلال الخير، غير ناقص من الصفات المحمودة، عالماً بما يحتاج إليه من السنة والكتاب، فَهِماً بما يحتاج إليه من الأسباب، تابعاً لآثار سلفه المهتدين، مخالفاً لمذاهب الضالين، شجاعاً كريماً بذولاً لماله زاهداً، وفي أمور الله سبحانه جاهداً، رصين العقل، بعيد الجهل.

فإن قال: فما أنكرت من أن يكون يطبع بخاتمه الحصى، ويعلم ما وراء الجدار، وما يحدث في آفاق الأرض والسماء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأن هذا الإمام الذي زعمت لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه إما أن يكون يعلم الغيب، وإما أن يكون يوحى إليه، إما أن يكون كاهناً

وحينئذ فتخصيص الإمامية الإمامة لعدد من أولاد الحسين عليهم السلام دعوى لم يقيموا عليها بينة ولم يدعموها بحجة.

وما روته الإمامية في هذا الباب لا ينفع، ولا يخرجون به من حيِّز الدعوى، وهنا يجيء المثل العامي (مَنْ شاهدك يا ثعيلي قال ذيلي)، ولا يصح الاحتجاج في هذا الباب ونحوه إلا بما فيه أحد المواصفات الآتية:

١-أن يكون الدليل من نصوص القرآن.

٢-أو يكون من السنة المجمع عليها عند علماء الأمة.

٣-أو يكون من السنة المتفق عليها بين الخصمين المتنازعين.

٤-أو أن يلتزم الخصم صحة الحديث.

فالإمامية يستدلون بروايات لا يوافقهم على صحتها أي من خصومهم فاعرف ذلك وتأمل. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

ساحراً.

فإن قلتم: إنه كاهن ساحر ، فهذا من القول أعيبه وأفضحه ، على من ينتحل التشيع في آل الرسول ؛ لأن من نسب إليهم السحر والكذب ، فقد عابهم بأعظم العيب، ومن كان ساحراً كذاباً فهو ظالم ولا ينال عهدي الظالمين ، ولا يوفق الله الكافرين.

وإن قلتم: حاشى لله أن يكون كذلك ولكنه يوحى إليه؛ خرجتم إلى ما هو أعظم مما نفيتم ، وجعلتموه نبياً وجحدتم قول الله سبحانه: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [الأحزاب:٤٠].

وإن قلتم: إنه يعلم الغيب ، خرجتم من ملة الإسلام ، ورجعتم إلى الشرك والآثام ، وقد أمر الله نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله- بالاحتجاج على المشركين فقال: ﴿**وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾ [الأعراف:١٨٨]، وقال: ﴿**وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ**﴾ [الأحقاف:٩]، وقال: ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾ [لقمان:٣٤]، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله الطيبين وسلم تسليماً.

تمّ كتاب الرد على الملحدين.

قال في (ب) : حرر غرة شهر ربيع الآخر من شهور سنة ١٠٣٣هـ.

كتاب التوحيد والتناهي والتحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله الواحد[١] الذي لا يوصف بالتعديد، العظيم الذي جل عن التحديد، العدل الذي تنزه عن ظلم العبيد.

أحمده حمد متوكل عليه، وأعتصم به اعتصام من أناب إليه، وكيف يوصف بالتعديد من أحصى كل شيء عدداً؛ بل كيف يوصف بالتبعيض واحداً، لما في التبعيض والتعديد من صفات التناهي والتحديد، وإذ لا بد لكل تعديد من معدد، ولكل تحديد من محدد، ولا بد لكل مفترق أو مجتمع من مفرّق وجامع، ومفتطر صانع، لما في الإفتراق والاجتماع من بيان الصنع والابتداع، والله سبحانه بخلاف خلقه المدبرين، ذوي الأماكن المصورين، إذ المصوَّر مضطر إلى مصوِّره، والمدبَّر محتاج إلى مدبِّره، والمقدَّر غير ممتنع من مقدِّره، لا ينفك من أماكنه ومواضعه، ولا يقدر على دفع إحاطة علم صانعه، فهو إلى محله مضطر مدفوع، وجهاته وأقطاره تدل على أنه مصنوع.

وكذلك ننفي عن الله سبحانه، وعز عن كل شأن شأنه، دَرَك الحواس والنفوس والأوهام، إذ لا يقع شيء منها إلا على جسم من الأجسام، في جهة من الجهات، أو على صفة من الصفات، فتبارك الله وتعالى عن الحس والتوجس، أو خاطر نفس من الأنفس، أو مشاكلة شيء من أوصاف الموصوفين، أو محادة جنس من أجناس المصنوعين، إذاً لدخل عليه ما يدخل على شكله، ولجاز عليه ما يجوز على مثله، من الصفات الملازمة للأجسام، المنفية عن ذي الجلال والإكرام.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم.

باب الدلالة على معرفة الله سبحانه والرد على الملحدين، الكفرة الجاحدين

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: إن سأل بعض

---

[١]- في (ب) ساقط.